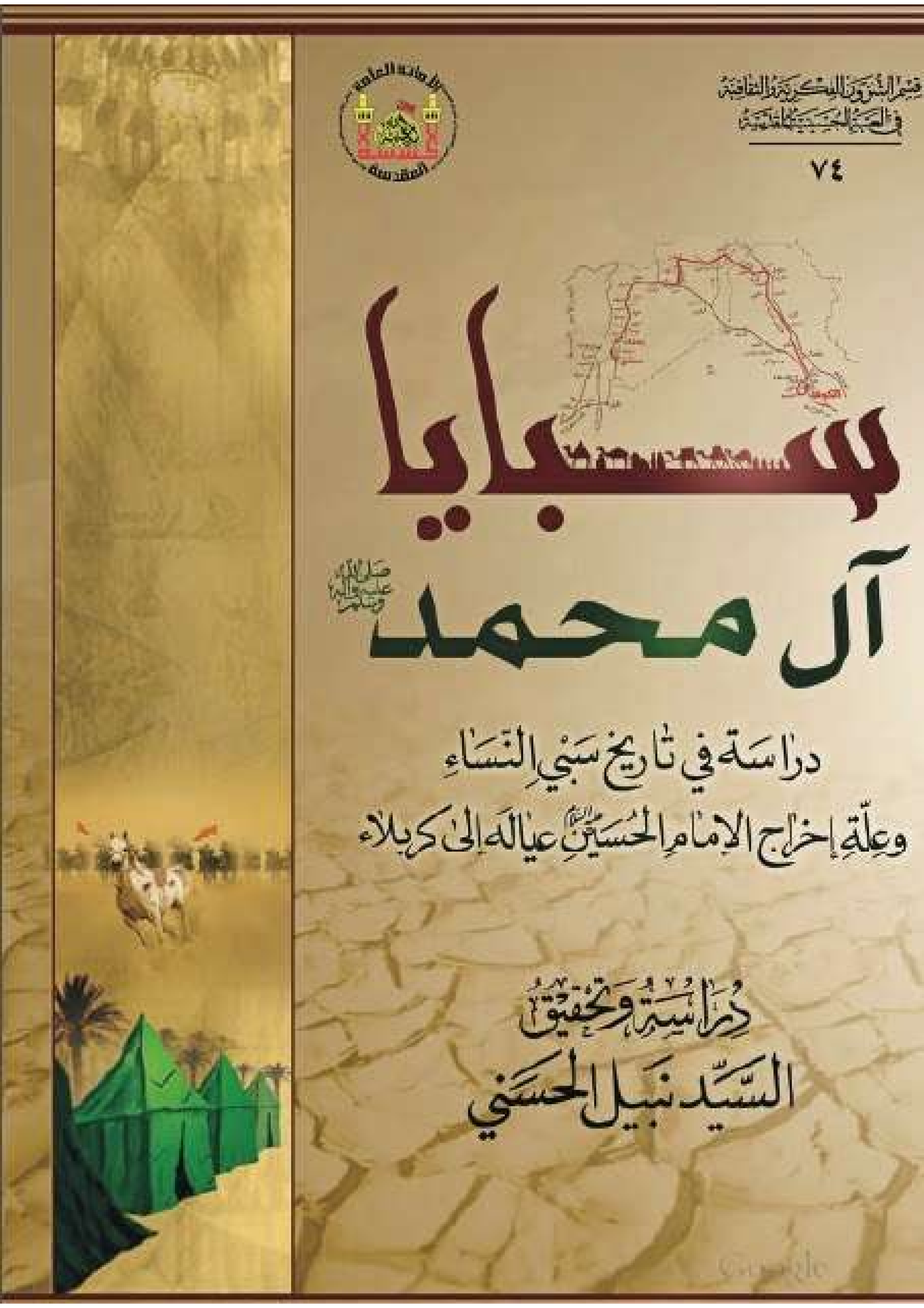
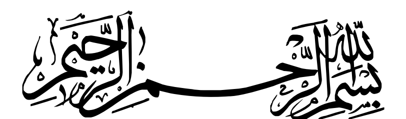

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
٧٤
سبايا
آل محمد
دراسة في تاريخ سبي النساء
وعلة إخراج الإمام الحسين عياله إلى كربلاء
دراسة وتحقيق
السيد نبيل الحسني



بسم الله الرحمن الرحيم



سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم



ISBN 978-9933-489-13-7

9 789933 489137

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١١ ـ ٢١٨٧

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩١٣٧

BP
٤١ / ٥٠٩
٢٠٨ س /
٥ ح

الحسني ، نبيل، ١٩٦٥ ــ م.

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: دراسة في تاريخ سبي النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء / دراسة تحليلية وتحقيق نبيل الحسني. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

٢٤٧ ص. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٧٤).

المصادر: ص ٢٢٥ - ٢٣٨.

١. واقعة كربلاء، ٦١ق - أحداث السبي - دراسة وتحقيق. ٢. واقعة كربلاء، ٦١ق - أحداث السبي - فلسفة . ٣. علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ق - بنات - تعقيب وإيذاء . ألف. العنوان

BP ٤١ / ٥٠٩ / ٢٠٨ س ٥ ح

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

دراسة في تاريخ سبي النساء
وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء

دراسة وتحليل وتحقيق

السيد نبيل الحسني

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله عليه وسلامه
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

إلى من تجرعت غصص فراق الأهل والأحبة.

إلى من لم تعرف من اللعب غير رؤية الفرسان وصهيل الخيل وقرع طبول الحرب.

إلى من لم ترَ من الألوان سوى دماء أبيها وأخوتها.

إلى من إذا جاعت ألقموها السياط وإذا بكت أسكتوها بكعاب الرماح.

إلى من لم تعرف من أبيها سوى سنوات أربع عاشتها في حجره وختمتها عند رأسه المقطوع.

إلى من بدأت أولى كلماتها بـ: أب يا أبه وختمتها، بـ: أبي من قطع الرأس الشريف، أبي من خضب الشيب العفيف، أبي من أيتمني على صغر سني.

إلى سيدتي الشهيدة البريئة ذات الأعوام الأربعة رقية بنت الإمام الحسين عليها السلام.

أهدي كتابي هذا علها تأنس به ففيه ذكر عماتها وأخواتها المسبيات.

خادمكم نبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها»[1].

والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله الهداة إلى الإسلام.

وبعد: لم تزل عاشوراء بما حوته من مفردات وأحداث ومشاهد ومواقف وشخصيات محطة للتزود الفكري والدنيوي والأخروي، وذلك أنها كانت ـ وبحق ـ خلاصة حركة النبوة والأنبياء عليهم السلام من نبي الله آدم عليه السلام وإلى أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أن التزود من هذه المحطة يعتمد على الوارد إليها فمنهم من يجد ضالّته في الإلهام الشعري، ومنهم من يجد ضالته في النجاة في ا لآخرة، ومنهم من يجد ضالته في شحن روح حركته الجهادية ومبادئه التحررية، ومنهم من يجد المتنفس لآلامه وهمومه ومنهم من يجد الحياة.

(١) هذا ما ابتدأت به سيدة نساء العالمين عليها السلام في خطبتها الاحتجاجية التي ألقتها في مسجد رسول الله على جمع من المهاجرين والأنصار.

«كتاب الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص١٣٢».

ولـذلك: ضـمت شخـصيات اختارتهـا المـشيئة الإلهيـة لتتجـسد في حركتهـا حركة الأنبياء عليهم السلام في إعلاء كلمـة التوحيـد وحفـظ الحيـاة الـتي عبـث بهـا الطواغيت.

فكان من بين هذه الشخصيات بنات النبوة وربيبات الرسـالة وسـليلات علـي بن أبي طالب عليه السلام.

نعم؛ فمنذ أن قدر الله تعالى أن يختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسـلم وأن يجعلها من نسل عبد المطلب كذا شاء سبحانه أن يكون ذكر أبي طالب رضـوان الله تعالى عليه ملازما لهـذا الـسير النبـوي والنـور الأزلـي ليتـشاطر الاثنـان رزء يـوم عاشوراء وحفظ شريعة خاتم الأديان.

فأبو طالب رضوان الله عليه قـدّم في يـوم عاشـوراء ثمانيـة عـشر رجـلاً شـهيداً مـن أحفـاده وخمـسة عـشر امـرأة مـسبية شـاء الله أن يـراهنّ مـسبيات ومـسلبات ومـصلحات وشـاء الله أن يـرى رجـالهن وإخـوانهن وأبنـاءهن مـصلحين ومجاهـدين ومبلغين لرسالات ربهـم وشهداء مضرّجين بدمائهم.

من هنا: وجـدنا أن دراسـة هـذا الوجـود العلـوي والنبـوي لبنـات رسـول الله المسبوق بمشيئة الله بحاجة إلى التأمل والتفكر والبحث؛ كي نضع أيـدينا علـى منهـل جديد من مناهل المعرفة العاشورائية نشفي بـه قلـوب المؤمنين بعـد جـدب الـشبهات وتراكم التخرصات التي يتبـوّق بهـا أشـياع آل أبـي سـفيان بـين الحـين والآخـر وهـم يظهرون بمقاسات جديدة وألوان متعددة تتناسب مع الأزمنة.

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

وعليه:

كانت هذه الدراسة ضمن مباحث خمسة حاولنا الإحاطة بما يشتمله العنوان من محاور، لنفي بها حق هذه الدراسة وحسبما يفرضه علينا المنهج العلمي للبحث، فبدأنا بدراسة أصل خروج النساء إلى المعركة عند العرب قبل الإسلام وبعده؛ لنعلم من أين نشأت هذه الفكرة؟ وهذا أولاً.

وثانياً: انعطفنا على معنى السبي وتاريخه لدى العرب وغيرهم؛ لنعلم أدخيلٌ هذا العمل على المجتمع العربي أم هو وليد هذا المجتمع؟

ثم توقفنا مع كيفية تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا المشركين واليهود؛ كي نضع أيدينا على الجرح في أن الطريقة التي تعامل بها (المسلمون) مع بنات نبيهم ليس لها مثيل في الأديان.

ثالثا: بحثنا في معنى المشيئة الإلهية والرجوع إلى القرآن والسنة المحمدية في بيان معنى المشيئة ودلالة قول سيد الشهداء عليه السلام:

«**شاء الله أن يراهن سبايا**».

وهل هذا ينفي وقوع العقاب على الجناة؟

رابعاً: ثم لابد لنا من دراسة هذه الشخصيات التي ابتليت بالسبي ومعرفة نسبتهن من علي بن أبي طالب عليه السلام، فخلصت الدراسة في هذا المبحث إلى أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سبيت له يوم عاشوراء عشر بنات تتقدمهن عقيلة الطالبيين وزينة أبيها علي أمير المؤمنين وابنة سيدة نساء العالمين وهو ما لم يقع لنبي من الأنبياء سوى سيدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن

تتعرض حرمه لهذا الابتلاء وبهذا العدد.

خامساً: ثم ختمنا الدراسة بالبحث عن العلة في هذا الخروج للعيال، وما هي الآثار التي حققها وجود النساء والأطفال؟ فكانت النتيجة: أنهن حققن من الإصلاح ما يوازي تلك الدماء الزكية التي سقت عقيدة الإسلام وحفظته.

السيد نبيل قدوري حسن علوان الحسني

مكتبة الروضة الحسينية المقدسة / كربلاء المقدسة

في يوم الأحد ١٣ شهر رمضان المبارك ١٤٣٢هـ ١٤ / ٨ / ٢٠١١



المبحث الأول

هل كانت العرب تحمل النساء والأطفال إلى الحرب قبل الإسلام؟

لعل مما يرد في ساحة البحث هذا التساؤل الذي بدأنا به هذه الدراسة في معرفة الحكمة التي من أجلها أخرج الإمام الحسين عليه السلام نساءه وأطفاله إلى العراق وهو الذي كان يعلم علم اليقين أنه ذاهب لملاقاة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنه مقتول لا محاله، فلطالما صرح بذلك جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل كان اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان هذه الفاجعة يفوق حد التصور، ويعطي مفهوماً خاصاً ارتبط بمقامه صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى، هذا المقام ترتب عليه من الابتلاء والامتحان ما لم يصل إلى تحمله نبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل، فأي نبي أو رسول وصل به التسليم والرضا بقضاء الله تعالى إلى الحد الذي كشفه فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما دخل على علي وفاطمة عليهما السلام في ليلة زفافهما وعند السحر ليخبرهما بأن الله سيجعل منهما ولدين سيقتل أحدهما غريبا عطشاناً.

كما يروي ابن جرير الطبري (الشيعي) في الدلائل (عن علي عليه السلام في حديث طويل عن مراسيم زفاف فاطمة عليها السلام فمما جاء فيه، أنه عليه السلام قال:

«فبت بليلة لم يبت أحد من العرب بمثلها، فما إن كان في آخر السحر أحسست بحس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معنا، فذهبت لأنهض، فقال لي:

مكانك يا علي، أتيتك في فراشك رحمك الله.

فأدخل صلى الله عليه وآله وسلم رجليه معنا في الدثار، ثم أخذ مدرعة كانت تحت رأس فاطمة، ثم استيقظت فاطمة فبكى، وبكت، وبكيت لبكائهما، فقال لي:

ما يبكيك يا علي؟

قال: قلت: فداك أبي وأمي، لقد بكيت وبكت فاطمة، فبكيت لبكائكما.

قال نعم: أتاني جبرئيل فبشرني بفرخين يكونان لك، ثم عزيت بأحدهما، وعرفت أنه يقتل غريبا عطشانا، فبكت فاطمة حتى علا بكاؤها، ثم قالت: يا أبه، لم يقتلوه وأنت جده، وأبوه علي، وأنا أمه؟

قال: يا بنية، لطلبهم الملك، أما إنه سيظهر عليهم سيف لا يغمد إلا على يد المهدي من ولدك»)[1].

ويستمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإخبار عن هذه الفاجعة حينما ولد الإمام الحسين عليه السلام، ليرسّخ في الأذهان أن هذا المولود هو مشروع استشهادي اصطفاه الله تعالى لنصرة دينه وحفظه من العبث به على أيدي

---

(١) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ص١٠١ ـ ١٠٢.

جبابرة الكفر ومردة النفاق وأئمة الضلال وسلاطين الجور.

كما تشير إلى ذلك رواية الشيخ المفيد رحمه الله، والحاكم النيسابوري وابن عساكر الدمشقي وغيرهم عن أم الفضل بنت الحارث:

(أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله رأيت هذه الليلة حلما منكراً! قال:

«وما هو؟».

قالت: إنه لشديد، قال:

«وما هو؟».

قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك».

فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فقالت: وكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلت به يوما على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله عليه وآله السلام تهراقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما لك؟ قال:

«أتاني جبرئيل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء»)[1].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج٢، ص١٢٩؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٧٧؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص١٩٧؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج٦، ص٢٥٨.

ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القدر من البيان عن مصير ولده وما تجترم الأمة بحقه ولا ترعى له ذمة ولا حرمة فيقول لعائشة حينما تسأله متعجبة من شدّة حبه لولده الإمام الحسين عليه السلام فتسأله وهي تنظر إليه كيف قد أجلسه في حجره ثم انعكف عليه يلاعبه ويضاحكه، فقالت:

«**يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي!**».

فقال لها:

«**ويلك، وكيف لا أحبه، ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي، وقرة عيني، أما أن أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي**».

قالت: يا رسول الله حجة من حججك؟! قال:

«**نعم، حجتين من حججي**».

قالت: يا رسول الله حجتين من حججك؟! قال:

«**نعم، وأربعة**».

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«**فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأعمارها**»[1].

فكان هذا كافياً في إيجاد حالة اليقين عند أهل البيت عليهم السلام بما سيجري على الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن بيانه صلى الله عليه وآله وسلم تفاصيل ما سيحل على الحسين عليه السلام من المصائب والرزايا العظيمة في يوم عاشوراء حتى سجل التاريخ تلك الحقيقة المأساوية في صفحاته لتزفر في وجوه

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ص١٤٤؛ الأمالي للطوسي: ص٦٦٨.

من أرادوا أن يطمسوا أعينهم عن انقلاب هذه الأمة بعد وفاة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فغدت على أهل بيته تنهبهم وتقتلهم لتكوّن في تاريخ الإنسانية بشكل عام وبتاريخ النبوة والأنبياء أفجع حلقة من المآسي والآلام التي لم يعرفها أي تاريخ من تواريخ الديانات.

من هنا: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بمصيره المحتوم على أيدي أمة جده، وكان يصرح بذلك في مرات عديدة، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الفارق فيما بين هذه الأقوال هو أن الإمام الحسين عليه السلام كان يظهر مصير أطفاله وإخوانه وحرمه وما يجري عليهم في ارض كربلاء كما تدل النصوص التاريخية، فكان منها:

أولا: حينما خرج من المدينة متجها إلى مكة وقد ذهب لزيارة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فقالت:

لا تحزنّي بخروجك إلى العراق فإنّي سمعت جدك رسول الله يقول:

«**يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء**».

وعندي تربتك في قارورة دفعها إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين عليه السلام:

«**يا أماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً وقد شاء عزّ وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً**».

قالت أم سلمة: واعجبا فأنّى تذهب وأنت مقتول؟

قال عليه السلام:

«يا أماه إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد وما من الموت والله بد وإني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه والساعة التي أقتل فيها والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك وإن أحببت يا أماه أن أريك مضجعي ومكان أصحابي».

فطلبت منه ذلك فأراها تربة أصحابه، ثم أعطاها من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة فإذا رأتها تفور دماً تيقنت قتله! وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورتين فإذا هما تفوران دماً[1].

ثانيا: ولما أراد الخروج من مكة متجها إلى العراق قام عليه السلام خطيباً فقال:

«الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني وأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن تشذ على رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل فإني راحل مصبحا إن شاء الله»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٢. مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم: ص١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٢٩؛ البحار للمجلسي: ج٤٤، ص٣٦٧؛ كشف الغمة للأربلي: ج٢، ص٢٣٩.

كل ذلك لم يمنعه من إخراج عياله نساءً وأطفالاً إلى أرض كربلاء، بل قد أظهر للتاريخ الذي غرق في صمت عميق ــ وهو يرى تلك الحوادث في يوم عاشوراء فلم يجد جواباً ــ أن الأمر أكبر من أن يستوعبه ذهن باحث أو يحيط به فكر دارس؛ وبين هذا وذاك راح المؤرخ يسجل لهما قول ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»!!!

وعندها كيف لا يفرض البحث علينا ونحن نسجل كل هذه المقاطع الفكرية لحياة سيد شباب أهل الجنة؟! فهل اصطحابه لعياله كان مرتكزا على ما اعتادت عليه العرب قبل الإسلام من حملها للنساء والأطفال إلى مواطن الحروب فكانت تحرز بهن انتصاراً، أم لم تجد لهن أماناً إذا تركوهن فخشوا أن يُؤْخَذْنَ رهائن عند الخصوم، أم أن العرب كانت تجد أن مصير رجالها ونسائها وأطفالها مرهون بالرجال حينما تدق الحرب طبولها معلنة الدمار وهي تصرخ في فضاء الصحراء أن لا حياة للعيال بعد الرجال فيتردد هذا الصدى إلى مسامع المسلمين فكانوا على ما عهدوا عليه أسلافهم في حمل النساء والأطفال إلى دار الحرب والدمار.

أم أن الأمر لا علاقة له بماضي العرب؟ وما كانت تفكر فيه؟

وعليه:

من أين جاءت هذه الفكرة أو النظرية، أي: حمل الأطفال والنساء إلى الحروب؟

المسألة الأولى: أول من أشار بقتال النساء في الحرب والهدف في وجودها؟

تفيد بعض النصوص التاريخية قبل الإسلام في تاريخ العرب: إلى أن الحرب التي نشبت بين البكريين والتغلبيين والتي اشتهرت بحرب البسوس وُظفت فيها النساء لتحقيق إنجاز عسكريّ فكان أول من أشار بتوظيف المرأة في المعركة للقتال هو الحارث بن عباد البكري حينما أشار على الحارث بن همام بقتال النساء في الحرب، وذلك حينما التقى الفريقان بعقبة وعلى بني تغلب مهلهل بن ربيعة، وعلى بكر الحارث بن همام بن مرة، فلما تراءى الجمعان قال الحارث بن عباد للحارث بن همام: هل أنت مطيعي فيما آمرك به؟

قال: ما أنا بتارك رأيك إلى ما هو اشر منه.

قال: اعلم أن القوم مستقلون لقومك في السلم، فزادهم جرأة في الحرب فقاتلوهم بالنساء فضلا عن الرجال.

قال الحارث بن همام: وكيف قتال النساء؟

قال: تعمدون إلى كل امرأة لها جلد ونفس فتعطي كل واحدة منهن إدواة وهراوة فإذا صففت أصحابك فصفهن خلفهم فإن ذلك مما يزيد الرجال جلداً وشدة ونشاطاً.

ثم تعلموا بعلامة تعرفها نساؤكم فإذا جرح منكم إنسان في القتال أُمرنَ بسقيه، وإذا مررن من عدوكم بإنسان ضربنه بالخشب فقتلنه، فتحاشدوا لذلك وحلقوا رؤوسهم علامة بينهم وبين نسائهم واستسلموا للموت ولم يبق يومئذ من

بكر أحد حضر الوقعة إلا حلق رأسه)[1].

أما الهدف في وجود النساء في المعركة فقد ذكرت بعض صفحات حرب البسوس حينما تلاقى البكريون والتغلبيون واجتلد القوم بالسيوف صدر يومهم ذلك ثم (جالت بنو بكر على تغلب فاستهزموا لهم حتى استمكنوا منهم وأخذ برة في تلك الجولة ثم اعترض تغلب كتيبة واحدة تحت راية مهلهل كأنها ركن ثبير فطرحت الأغماد ونادت كليبا كليبا وانصبت جهودها على بكر ضربا بالسيوف على الهام حتى ولت بكر مدبرين واختلف أعناق القتلى وصارت راية المهلهل بين الفئتين لا ترى حوله إلا ضاربا أو مضروبا وشق الخيل شقا ثم من عرفه بكريا قتله، ومن أنكره كف عنه خوف الخطأ.

واعترض عوف بن مالك بن ضبعة البكري بناقته وعليها ظعينته وقومه مدبرون فعقر ناقته وحث التراب في وجوههم وقال: يا لبكر أين النساء والحريم، إن الموت أفضل الطريقين ثم شهر قائم سيفه وزعق بهم وقال: وأيم الله لا يمر بي هارب إلا أذقته القتل الذي هرب منه وكان مسموعا واجتمعت أهل الحميات ونادوا البروك يا لبكر لا خير في بكري لا يبرك يا بكر البرك عند الدرك فبركوا قعودا وصفوا التراس وضموا خيلهم كتيبة واحدة وأصاموها عن الجري قياما وصاح الناس عليهم من حولهم وفي وجوههم يا لبكر الذمار ـ وهي العودة ـ.

وكان مع الفند بن سهل ابنتان له تحضان الناس على القتال، فكشفت إحداهما خمارها وجعلت تقول محرضة لقومها:

---

(١) تاريخ الحروب العربية لسلمان الصفواني: ص١٢١.

وعـا وعـا جـر والجـراد والقطـا   وامـتلأت منـه الحيـاض والربـا

يـا حبـذا الملـوك منـا بالـضحى)

وأقبلت كرمة بنت ضلع بن عبد غنم وهي أم مالك بن زيد فارس بكر تحرض قومها وهي تقول:

إن تقبلـــــوا نعـــــانق   ونفـــــرش النمـــــارق

وتـــــدهن المفـــــارق

إن تـــــدبروا نفـــــارق   فـــــراق غـــــير رامـــــق

عـــــرس المـــــولى طـــــالق   والعـــــار منـــــه لاحـــــق[١]

فكانت النتيجة أن عطفت بكر على تغلب.

إذن:

تدل تلك الصفحات التاريخية على أن العرب كانت تحمل النساء إلى المعارك ولكن لا يبدو أن ذلك على وجه العموم؛ إذ ليس جميع من يخرج للحرب كان يحمل عياله إلا أن وجود المرأة كان له أثر مميز في استنهاض همم الرجال ورفع معنوياتهم القتالية فمن شيمة العرب الحمية والاستماتة من أجل صون الحرم.

إلا أن هذا الهدف لم يكن هو السبب والدافع لإخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله معه إلى كربلاء وهو المتيقن بمصيره ومصيرهن فشتان بين امرئ يعلم ما يجري عليه وعلى عياله (إذ إن الله شاء أن يراهن سبايا) وبين رجل أخرج عياله كي يحقق بهن عوناً لوجستياً قد يحرز به نصراً.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

المسألة الثانية: إخراج المشركين للنساء في حروبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لم تنفك العرب من الاعتقاد بضرورة إخراج الظعن ـ أي المرأة سواء أكانت زوجة أم أختاً أم بنتاً ـ إلى دار الحرب لتحقيق أهدافها في حث الرجال على الحمية والتضحية والرجولة التي تأبى أن تضام المرأة وهم أحياء.

ولذا: نجد أن المشركين قد وجدوا ضرورة إخراج المرأة إلى المعركة في حربهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لغرض تحقيق مكاسب عسكرية ـ لم ينالوا منها شيئاً ـ وذلك لاختلاف العقيدة القتالية بين الفئتين، إلا أننا يمكن أن نقف على دور إخراج الظعينة إلى دار الحرب عند العرب من خلال ما يأتي:

أولاً: إخراج النساء إلى معركة أحد

إن المشركين حينما قتل شجعانهم وأشياخهم في معركة بدر الكبرى عزموا على ملاقاة المسلمين في معركة أخرى فكانت من استعداداتهم لهذه المعركة أن أخرجوا نساءهم معهم وكان عدد النساء اللائي خرجن لمعركة أحد (خمس عشرة امرأة)[1].

قال الطبري: (فخرجت قريش بحدها وجدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة ولئلا يفروا؛ فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه هند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة، بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن الحارث، وخرج

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص١٩٠.

الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة ، وقيل ببرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد وهي أم بني طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ وأبوهم ، وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير وهي أم مصعب بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة ـ زوجة أبي سفيان ـ كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت إيه أبا دسمة إشف واشتف وكان وحشي يكنى أبا دسمة)[1] .

وكانت هند زوجة أبي سفيان قد جمعت هذه النسوة وأخذن يضربن بالدفوف وهي تقول :

نحـــن بنـــات طـــارق إن تقبلـــوا نعـــانق

ونبســط النمـــارق أو تـــدبروا نفـــارق

فـــراق غـــير وامـــق

وتقول أيضا : وقد وقفن خلف الرجال :

ويهـــا بـــني عبـــد الـــدار ويهـــا حمـــاة الأدبـــار

ضـــربا بكـــل بتـــار[2]

---

(١) تاريخ الطبري : ج٢ ، ص١٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري : ج٢ ، ص١٩٥ .

ومن الملفت للنظر أن بلاد الشام إلى يومنا هذا ما زالت النساء الشاميات حينما يردن أن ينشدن الأهازيج يبتدئن بـ(ويها) ثم يردفن الأهزوجة ؛ ولعل نشوء حكم بني أمية في هذا البلد كان له الأثر الكبير في ثقافة الناس لاسيما وأن هنداً أم معاوية قد حرصت على زرع كثير من السجايا في نفس ولدها معاوية وحفيدها يزيد اللذين حكما المسلمين.

ولعل عداءهما لبني هاشم جعل هذه الثقافة سارية أين ما حل بنو أمية في البلاد سواء أكانوا في الشام أم في الأندلس ، هذا العداء الذي تجلى بأول مظاهره في معركة أحد حينما وقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة سلام الله عليه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب يوم الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وأخي وصهري

شفيت وحشي غليل صدري ... شفيت نفسي وقضيت نذري

فشكر وحشي علي عمري ... حتى تغيب أعظمي في قبري

قال ابن إسحاق وابن طيفور : فأجابتها هند بنت أثاثة بن المطلب بن عبد مناف :

خزيت في بدر وغير بدر ... يا بنت غدار عظيم الكفر

أفحمـــك الله غـــداة الفجـــر بالهـــاشميين الطـــوال الزهـــر

بكـــل قطـــاع حـــسام يفـــري حمـــزة ليثـــي وعلـــي صـــقري

إذ رام شـــيب وأبـــو عـــذري فخـــضبا منـــه ضـــواحي النحـــر

هتـــك وحـــشي حجـــاب الـــستر مـــا للبغايـــا بعـــدها مـــن فخـــر[1]

ولقد هجاها حسان بن ثابت قائلا :

أشرت لكاع وكان عادتها لؤمـا إذا أشـرت مـع الكفـر

لعـــن الالـــه وزوجهـــا معهـــا هنـــد الهنـــود عظيمـــة البظـــر

أخرجـــت مرقـــصة إلى أحـــد في القـــوم مقتبـــة علـــى بكـــر

بكـــر ثقـــال لا حـــراك بـــه لا عـــن معاتبـــة ولا زجـــر

وعـــصاك إســـتك تـــتقين بهـــا دقـــى العجايـــة هنـــد بـــالفهر

قرحـــت عجيزتهـــا ومـــشرحها مـــن دأبهـــا نـــصا علـــى القـــتر

ظلـــت تـــداويها زميلتـــها بالمـــاء تنـــضحه وبالـــسدر

أخرجـــت ثـــائرة مبـــادرة بأبيـــك وابنـــك يـــوم ذي بـــدر

وبعمـــك المـــستوه في ودع وأخيـــك منعفـــرين في الحفـــر

ونـــسيت فاحـــشة أتيـــت بهـــا يـــا هنـــد ويحـــك ســـبة الـــدهر

فرجعـــت صـــاغرة بـــلا تـــرة منـــا ظفـــرت بهـــا ولا نـــصر

زعـــم الولائـــد أنهـــا ولـــدت ولـــدا صغيرا كـــان مـــن عهـــر[2]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣، ص٦٠٨. بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢٨ ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥ ، ص١٤. تفسير القرطبي: ج٤ ، ص١٨٨. البداية والنهاية لابن كثير: ج٤ ، ص٤٢ ؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج١ ، ص٤٢٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ، ص٢٠٥.

إذن :

قدمت النسوة في معركة أُحُد ما اختزنته تلك النفوس من حقد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبني هاشم ومن آمن به ؛ بمعنى : كان الدور الجديد الذي ظهر من وجود الظعينة في معركة أحد هو الكشف عن مكنون نفوس الرجال وما لحق بتلك البيوتات من ضرر كبير في معركة بدر.

ثانيا: إخراج المشركين نساءهم وأولادهم في غزوة حنين

لم يشهد العرب بعد معركة أحد ظهوراً لحمل الظعينة في حرب المشركين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في غزوة حنين ، وقد امتاز هذا الخروج للظعينة ببعض الامتيازات التي جعلت من هذه الغزوة متفردة من حيث ما شهدته من ظهور للمرأة على طول تاريخ العرب ، وهي كالآتي :

١ ـ تُظهر النصوص ـ التي سنعرضها ـ بأن هوزان لم تترك امرأة إلا أخرجتها معها في سيرها لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين.

٢ ـ إخراج الأطفال وحملها إلى دار الحرب.

٣ ـ إخراج الأموال من الماشية والإبل والأغنام وغيرها.

مما جعلها ـ بحق ـ تتفرد في هذا الظهور للمرأة في دار الحرب ، أما كيف حدث الأمر ، فهو كما يرويه المؤرخون : (أن هوازن جمعت له جمعاً كثيرا ، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن صفوان بن أمية عنده مائة درع فسأله ذلك ، فقال : أغصبا يا محمد؟

قال :

«لا، ولكن عارية مضمونة».

قال: لا بأس بهذا. فأعطاه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ألفين ــ من مكة ــ وعشرة آلاف كانوا معه، فقال أحد أصحابه: لن نغلب اليوم من قلة. فشق ذلك على رسول الله فأنزل الله سبحانه

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾(١).

وأقبل مالك بن عوف النصري فيمن معه من قبائل قيس وثقيف، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبي حدرد عينا فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنكم أحد العرب وأعدها، وإن هذا الرجل لم يلق قوما يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا عليه حملة رجل واحد. فأتى ابن أبي حدرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال:

«قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر وابن أبي حدرد صادق».

قال الصادق عليه السلام:

«وكان مع هوازن دريد بن الصمة، خرجوا به شيخا كبيرا يتيمنون برأيه، فلما نزلوا بأوطاس قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم قال: فأين مالك؟ فدعي مالك له، فأتاه فقال:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

يا مالك، أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، وثغاء الشاة؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: ويحك لم تصنع شيئا، قدمت بيضة هوازن في نحور الخيل، وهل يرد وجه المنهزم شيء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك.

قال: إنك قد كبرت وكبر عقلك.

فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غدا قومك ذلا بتقصير رأيك وعقلك، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه (ثم قال: حرب عوان).

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع).

قال جابر: فسرنا حتى إذا استقبلنا وادي حنين، كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضائقه، فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف والعمد والقني، فشدوا علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات اليمين، وأحدق ببغلته تسعة من بني عبد المطلب.

وأقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمدا، فأروه فحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان رجلا أهوج ـ فلقيه رجل من المسلمين فالتقيا، فقتله مالك ـ وقيل: إنه أيمن بن أم أيمن ـ ثم أقدم فرسه فأبى أن يقدم نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصاح كلدة بن الحنبل ـ وهو أخو صفوان بن أمية

لأمه وصفوان يومئذ مشرك ـ: ألا بطل السحر اليوم، فقال صفوان: اسكت فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

قال محمد بن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار: اليوم أدرك ثاري ــ وكان أبوه قتل يوم أحد ــ اليوم أقتل محمدا، قال: فأدرت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم أطق ذلك، فعرفت أنه ممنوع.

وروى عكرمة عن شيبة قال: لما رأيت رسول الله يوم حنين قد عري ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما، فقلت: أدرك ثاري اليوم من محمد، فذهبت لأجيئه عن يمينه، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائما عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج، فقلت: عمه ولن يخذله، ثم جئته عن يساره، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، فقلت: ابن عمه ولن يخذله، ثم جئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق، فخفت أن يمحشني فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، والتفت رسول الله وقال:

«**يا شيب ادن مني، اللهم اذهب عنه الشيطان**».

قال: فرفعت إليه بصري ولهو أحب إلي من سمعي وبصري، وقال:

«**يا شيب قاتل الكفار**».

وعن موسى بن عقبة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعو ويقول:

«اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا» .

ونادى أصحابه وذمرهم :

«يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم» .

وقيل : إنه قال :

«يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج» .

وأمر العباس بن عبد المطلب فنادى في القوم بذلك ، فأقبل إليه أصحابه سراعا يبتدرون.

وروي : أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :

«الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» .

قال سلمة بن الأكوع : نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب ، ثم استقبل به وجوههم وقال :

«شاهت الوجوه فما خلي الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين، واتبعهم المسلمون فقتلوهم، وغنمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وأموالهم» .

وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم ، وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله وإعزاز دينه ، قال أبان : وحدثني محمد بن الحسن بن زياد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

«سبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين أربعة آلاف رأس واثني عشر ألف ناقة، سوى ما لا يعلم من الغنائم وخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنفال والأموال والسبايا بالجعرانة وافترق المشركون

فرقتين، فأخذت الأعراب ومن تبعهم أوطاس، وأخذت ثقيف ومن تبعهم الطائف، وبعث رسول الله أبا عامر الأشعري إلى أوطاس فقاتل حتى قتل، فأخذ أبو موسى الأشعري ـ وهو ابن عمه ـ فقاتل بها حتى فتح عليه»)[١].

إذن:

كان الغرض من إخراج النساء إلى المعركة في غزوة حنين عند العرب المشركين هو ما صرح به مالك بن عوف قائلا:

أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وما له ليقاتل عنهم، أي استخدام المرأة لخلق العقيدة القتالية كي يضمن بذلك النصر.

إلا أن هذا الأمر لم يكن ذا أهمية لدى سيد شباب أهل الجنة فالعقيدة القتالية مرتكزة على مجموعة من المبادئ السماوية منذ آدم وحتى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته**».

وقوله:

«**إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما**».

وقوله:

«**ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهرت**».

ومن ثم لا يشكل وجود المرأة في يوم عاشوراء العقيدة القتالية لدى سيد

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي: ج١، ص٢٢٨ ـ ٢٣٣. المناقب لابن شهر آشوب: ج١، ص١٨١؛ تفسير السمعاني: ج٢، ص٢٩٨؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص١٤٩ ـ ١٥٥.

شباب أهل الجنة أو أهل بيته فسواء كان لعياله وجود أو لم يكن فالإمام الحسين عليه السلام في ساحة المعركة هو ذاك لا يحتاج في مبادئه الرسالية وعقيدته القتالية إلى وجود المرأة.

المسألة الثالثة: هل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج عياله إلى الحرب أو أجاز ذلك لأصحابه

تدل النصوص على أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يجيز حمل النساء إلى أرض المعركة، بل قام هو بذلك؛ فقد أخرج عائشة في بعض حروبه ـ كما سيمر بيانه ـ ولقد تحدث ابن إسحاق عن وجود صفية بنت عبد المطلب مع ولدها الزبير في معركة أحد، فقال: (وأقبلت فيما بلغني صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنها الزبير بن العوام:

«ألقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها».

فلقيها الزبير فقال لها: يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم، ولقد بلغني أنه مُثل بأخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك.

قال:

«خل سبيلها».

فأتته فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به فدفن)[١].

ويكشف هذا النص التاريخي عن وجود صفية بنت عبد المطلب مع ولدها في معركة أحد مما يدلل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينهَ عن ذلك.

بل لقد روت مصادر الحديث أن المسلمين كانوا يحملون عيالهم في خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي كالآتي:

١ــ روى البخاري عن الربيع بنت معوذ ما يدل على إخراج النساء إلى المعركة لتأدية بعض الأعمال فقالت: (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة)[٢].

٢ــ ولقد قام رسول الله بحمل عائشة معه في إحدى غزواته، وقد أفرد البخاري لهذه الحادثة باباً بعنوان حمل الرجل امرأته في الغزو[٣]، وفيها حدثت قصة الإفك وهي مفصلة في كتب الحديث والتاريخ فمن أرادها فليعد إلى مظانها.

٣ـ عن معمر عن الزهري، قال: (كان النساء يشهدن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى)[٤].

٤ـ روى أبو داود، عن حشرج بن زياد، عن جدته أم أبيه، أنها خرجت مع

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب: حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو، وباب: رد النساء الجرحى: ج٣، ص٢٢٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، ج٣، ص٢٢١.

(٤) فتح الباري لابن حجر: ج٦، ص٥٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة خيبر سادس ست نسوة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبعث إلينا، فجئنا فرأينا فيه الغضب فقال:

«مع من خرجتن وبإذن من خرجتن؟».

قلنا: يا رسول الله، خرجنا نغزل الشعر، ونعين به في سبيل الله، ومعنا دواء الجرحى، ونناول السهام، ونسقي السويق.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«قمن».

حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا كل أسهم للرجال، قال فقلت لها: يا جدة وما كان ذلك؟ قالت: تمرا)[1].

٥ـ روى ابن أبي الحديد عن الواقدي في خروج نسيبة بنت كعب أم عمارة إلى معركة أحد وكيفية قتالها ودورها المتميز فقال: (كعب أم عمارة بن غزية بن عمرو قد شهدت أحدا، وزوجها غزية وابناها عمارة بن غزية وعبد الله بن زيد، وخرجت ومعها شن لها في أول النهار تريد تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا، فجرحت اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، فكانت أم سعد بنت سعد بن الربيع تحدث، فتقول: دخلت عليها، فقالت لها: يا خالة، حدثيني خبرك، فقالت:

خرجت أول النهار إلى أحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم وهو في الصحابة

(١) سنن أبي داود: ج١، ص٦٢٠.

والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فجعلت أباشر القتال، وأذب عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بالسيف، وأرمي بالقوس، حتى خلصت إلى الجراح.

فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت: يا أم عمارة، من أصابك بهذا قالت: أقبل ابن قميئة، وقد ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يصيح دلوني على محمد، لا نجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

فقالت لها: يدك ما أصابها؟ قالت: أصيبت يوم اليمامة، لما جعلت الاعراب تنهزم بالناس، نادت الأنصار: أخلصونا. فأخلصت الأنصار، فكنت معهم، حتى انتهينا إلى حديقة الموت، فاقتتلنا عليها ساعة، حتى قتل أبو دجانة على باب الحديقة، ودخلتها وأنا أريد عدو الله مسيلمة، فيعرض لي رجل، فضرب يدي فقطعها، فوالله ما كانت ناهية، ولا عرجت عليها، حتى وقفت على الخبيث مقتولا، وابني عبد الله بن يزيد المازني يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته قال: نعم، فسجدت شكرا لله عز وجل وانصرفت.

قال الواقدي: وكان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا تسقي الماء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول يومئذ:

«لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان».

وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا. [قلت: ليت الراوي لم يكنَّ هذه الكناية، وكان يذكرهما باسمهما حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئا، فما باله كتم اسم هذين الرجلين].

قال: فلما حضرت نسيبة الوفاة، كنت فيمن غسلها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر، وكانت تقول إني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها ـ وكان أعظم جراحها ، لقد داوته سنة ـ ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بعد انقضاء أحد: إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح، حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله من حمراء الأسد، لم يصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فرجع إليه فأخبره بسلامتها، فسر بذلك.

قال الواقدي: وحدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزية، قال: قالت أم عمارة: لقد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فما بقي إلا نفير ما يتمون عشرة، وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون عنه منهزمين، فرآني ولا ترس معي، ورأى رجلا موليا معه ترس، فقال يا صاحب الترس، ألق ترسك إلى من يقاتل. فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترس به على النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رجّالة مثلنا أصبناهم، فيقبل رجل على فرس، فضربني وترست له، فلم يصنع سيفه شيئا، وولى وأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يصيح:

«يا بن عمارة، أمك، أمك».

قالت فعاونني عليه حتى أوردته شعوب.

قال الواقدي: وحدثني ابن أبي سبرة، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن عبد الله بن زيد المازني، قال: جرحت جرحا في عضدي اليسرى، ضربني رجل كأنه الرقل ولم يعرج علي، ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أعصب جرحك، فتقبل أمي إلي، ومعها عصائب في حقويها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي والنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم واقف ينظر، ثم قالت انهض يا بني، فضارب القوم، فجعل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول:

«ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة».

قالت: وأقبل الرجل الذي ضربني، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: هذا ضارب ابنك، فاعترضت أمي له، فضربت ساقه، فبرك، فرأيت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم تبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال:

«استقدت يا أم عمارة».

ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك.

قال الواقدي: وروى موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه، قال: أتى عمر ابن الخطاب في أيام خلافته بمروط كان فيها مرط واسع جيد، فقال بعضهم إن هذا المرط بثمن كذا، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد،

وذلك حدثان ما دخلت على ابن عمر، فقال بل أبعث به إلى من هو أحق منها، أم عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يوم أحد يقول: ما التفت يمينا وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني.

قال الواقدي: وروى مروان بن سعيد بن المعلى، قال: قيل لام عمارة يا أم عمارة، هل كن نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن فقالت: أعوذ بالله، لا والله ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم ولا حجر، ولكن رأيت معهن الدفاف والأكبار يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر، ومعهن مكاحل ومراود، فكلما ولى رجل أو تكعكع ناولته إحداهن مرودا ومكحلة، ويقلن إنما أنت امرأة، ولقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات، ولها عنهن الرجال أصحاب الخيل، ونجوا على متون خيلهم، وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن، فجعلن يسقطن في الطريق، ولقد رأيت هندا بنت عتبة، وكانت امرأة ثقيلة، ولها خلق، قاعدة خاشية من الخيل، ما بها مشي، ومعها امرأة أخرى، حتى كثر القوم علينا، فأصابوا منا ما أصابوا، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم.

قال الواقدي: وحدثني ابن أبي سبرة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن الحارث بن عبد الله، قال: سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم، يقول: شهدت أحداً مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فلما تفرق الناس عنه، دنوت منه، وأمي تذب عنه، فقال:

«يا بن عمارة».

قلت نعم، قال:

«إرم».

فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر، وهو على فرس، فأصيبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعوله بالحجارة، حتى نضدت عليه منها وقرا، والنبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ينظر إلي ويتبسم، فنظر إلى جرح بأمي على عاتقها، فقال:

أمك أمك أعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان».

ومقام ربيبك ـ يعنى زوج أمه ـ خير من مقام فلان، رحمكم الله من أهل بيت فقالت: أمي ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقك في الجنة.

فقال:

«اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة»)[1].

إلا أن جميع ما جاءت به هذه الصحابية لم يكن قد حدث في يوم عاشوراء فلم يأذن الإمام الحسين عليه السلام لأي امرأة كانت سواء أمن عياله أم من عيال أصحابه، وعيال بني عمومته، مما يجعلنا ندور حول السؤال الذي تصدر هذا البحث: لماذا أخرج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى أرض كربلاء وهو يعلم ما يجري عليه وعليهن، فضلن عن عدم قيامهن بما كانت تقوم به النساء عند خروجهن إلى الحرب سواء أفي زمن الجاهلية أم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٤، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٩.

المسألة الرابعة: إخراج النساء في قتال الإمام علي (عليه السلام) للناكثين والقاسطين والمارقين

إن أشهر ظهور للمرأة في حروب الإمام علي عليه السلام، هي حرب الجمل في قتاله عليه السلام للناكثين والتي خاضتها عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حربها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولقد كانت على جمل أدبب اتخذت الحرب أسمها منه؛ حتى سقط فيها قتلى كثيرون.

ولقد صرّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخروج عائشة إلى حرب أمير المؤمنين عليه السلام في جملة من الأحاديث التي تكشف عن حقيقة مؤلمة تركت آثارها على العقيدة الإسلام إلى يومنا هذا ولا أظنها تنتهي لاسيما وأن عائشة قد خرجت لحرب من كان حبه عنوان صحيفة المؤمن وأن بغضه نفاق كما هو ثابت في صحاح المسلمين على اختلاف مشاربهم الفقهية.

١ ـ فقد أخرج أحمد في المسند، عن قيس بن أبي حازم عن عائشة قالت: (لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لنا:

«أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب».

فقال لها الزبير: ترجعين! عسى الله عزّ وجل يصلح بك بين الناس)[1].

٢ ـ روى البزاز والهيثمي، عن ابن عباس قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: حديث السيدة عائشة، ج٦، ص٩٧؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٢٠.

«ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعد ما كادت»[١].

أولا: دور المرأة في معركة الجمل

اختزن التراث الإسلامي في مواضع كثيرة منه سواء ما كتب في الحديث أو التفسير أو التاريخ أو التراجم أو سواء ما كتب في العقيدة وعلم الكلام أمر خروج عائشة إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان بن عفان ويمكن أن نوجز هذه الحادثة بما اختصره الحافظ العيني في شرحه لصحيح البخاري، ثم نتوقف في دور المرأة في ساحة المعركة وآثار ذلك على المستوى النفسي والعسكري والعقائدي لما تحتله عائشة من موقعية في الإسلام بكينونة ارتباطها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلقة الزوجية التي فرضت عليها حدوداً خاصة جاء بها القرآن الكريم في سورة الأحزاب، قال تعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٢].

---

(١) مجمع الزوائد: ج٧، ص٢٣٤؛ فتح الباري لابن حجر: ج١٣، ص٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٣٢ و ٣٣ و ٣٤.

وعليه: كان خروجها إلى قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد شكل مفصلاً من مفاصل الحركة الفكرية للمسلمين تجاذبت فيها الأقلام والأعناق آثار هذا الخروج وانعكاساته على عقيدة المسلم.

قال الحافظ العيني[١]:

(كانت وقعة الجمل عام ستة وثلاثين من الهجرة وكان قتل عثمان بن عفان سنة خمس وثلاثين وكانت عائشة بمكة وكذلك أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في سنة خمس وثلاثين فرارا من الفتنة ولما بلغ أهل مكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة.

ثم لما بويع علي ـ عليه السلام ـ كان أحظى الناس عنده بحكم الحال لا عن اختيار علي لذلك رؤوس أولئك الذين قتلوا عثمان وفر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة وخرج طلحة والزبير في الاعتمار وتبعهم خلق كثير وجم غفير وقدم إلى مكة أيضا في هذه الأيام يعلى بن أمية ومعه ستمائة ألف ألف درهم وستمائة بعير فأناخ بالأبطح وقيل كان معه ستمائة ألف دينار وقدم ابن عامر من البصرة بأكثر من ذلك.

فاجتمع بنو أمية بالأبطح وقامت عائشة في الناس تحضهم على القيام بطلب دم عثمان وطاوعوها في ذلك وخرجوا وتوجهوا نحو البصرة وكانت عائشة تحمل

---

(١) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ علامة من كبار المحدثين أصله من حلب ومولده في غيناب وإليها نسبته أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه ولما ولي الأشرف سامره ولزمه توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ (الأعلام للزركلي: ج٧، ص١٦٣)..

في هودج على جمل اسمه عسكر اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتي دينار وكان هذا هو الذي يدلهم على الطريق وكانوا لا يمرون على ماء ولا واد إلا سألوه عنه حتى وصلوا إلى موضع يسمى حوأب بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وفي آخره باء موحدة وهو ماء قريب من البصرة فنبحت كلابه فقالوا :

أي ماء هذا قال الدليل هذا ماء الحوأب فحين سمعت عائشة بذلك صرخت بأعلى صوتها وضربت عضد بعيرها فأناخته فقالت أنا والله صاحبة الحوأب ردوني ردوني تقول ذلك فأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى المسير حتى إذا كانت الساعة التي أناخت فيها من الغد جاءها عبد الله بن الزبير فقال النجاء النجاء ، فقد أدرككم علي بن أبي طالب فعند ذلك رحلوا.

وأما حديث الحوأب فأخرجه أحمد في مسنده عن عائشة قالت إن رسول الله قال لي ذات يوم :

«كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب» .

فعرفت الحال عند ذلك فأرادت الرجوع ، وأما علي ــ عليه السلام ــ فإنه خرج في آخر شهر ربيع الآخر في سنة ست وثلاثين من المدينة في تسعمائة مقاتل وقيل لما بلغ عليا مسير عائشة وطلحة وزبير إلى البصرة سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايعوا تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار ورايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمنته الحسن بن علي وعلى ميسرته الحسين بن علي وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر وعلى مقدمته

عبد الله بن عباس ثم اجتمعوا كلهم عند قصر عبيد الله بن زياد ونزل الناس في كل ناحية وقد اجتمع مع علي ـ عليه السلام ـ عشرون ألفا والتفت على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفا وقامت الحرب على ساقها فتصافوا وتصاولوا وتجاولوا وكان من جملة من يبارز الزبير وعمار فحمل عمار نحوه بالرمح والزبير كاف عنه لقول رسول الله:

«**تقتلك الفئة الباغية**».

وقتل ناس كثير ورجع الزبير عن القتال وقال الواقدي كان زمام الجمل بيد كعب بن سور وما كان يأخذ زمام الجمل إلا من هو معروف بالشجاعة ما أخذه أحد إلا قتل وحمل عليه عدي بن حاتم ولم يبق إلا عقره ففقئت عين عدي واجتمع بنو ضبة عند الجمل وقاتلوا دونه قتالا لم يسمع مثله فقطعت عنده ألف يد وقتل عليه ألف رجل منهم وقال ابن الزبير جرحت على زمام الجمل سبعاً وثلاثين جراحة وما أحد أخذ برأسه إلا قتل أخذه عبد الرحمن بن عتاب فقتل ثم أخذه الأسود بن البحتري فقتل وعد جماعة وغلب ابن الزبير من الجراحات فألقى نفسه بين القتلى ثم وصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين فجعلت تنادي الله الله يا بني اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك القوم من قتلة عثمان فضج الناس معها بالدعاء وأولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ فجعلت الحرب تأخذ وتعطي فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة وقتل خلق كثير ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة.

ثم حملت عليه السائبة والأشتر يقدمها وحمل بجير بن ولجة الضبي الكوفي وقطع بطانه وعقره وقطع ثلاث قوائم من قوائمه فبرك ووقع الهودج على الأرض

ووقف عليها علي ـ عليه السلام ـ فقال السلام عليك يا أماه فقالت وعليك السلام يا بني فقال يغفر الله لك فقالت ولك وانهزم من كان حوله من الناس وأمر علي ـ عليه السلام ـ أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أن يضربا عليه قبة.

ولما كان آخر الليل خرج محمد بعائشة فأدخلها البصرة وأنزلها في دار عبد الله ابن خلف الخزاعي وبكت عائشة بكاء شديدا وقالت: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون عليها ثم أن عليا ـ عليه السلام ـ أقام بظاهر الكوفة ثلاثة أيام وصلى على القتلى من الفريقين.

وقال ابن الكلبي قتل من أصحاب عائشة ثمانية آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا ومن أصحاب علي ألف وقيل قتل من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة خمسة آلاف وكان في جملة القتلى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ثم دخل على البصرة يوم الاثنين ثم جهز عائشة أحسن الجهاز بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وأخرج معها كل من نجا من الوقعة ممن خرج معها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ووقف علي معها حتى ودعها وكان خروجها يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها علي أميالا وسرح بنيه معها يوما.

وقال الواقدي أمر علي النساء اللاتي خرجن مع عائشة بلبس العمائم وتقليد السيوف ثم قال لهن لا تعلمنها أنكن نسوة وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها وسارت عائشة على تلك الحالة حتى دخلت مكة وأقامت

حتى حجت واجتمع إليها نساء أهل مكة يبكين وهي تبكي وسئلت عن مسيرها فقالت لقد أعطى علي فأكثر وبعث معي رجالا وبلغ النساء فأتينها وكشفن عن وجوههن وعرفنها الحال فسجدت وقالت والله ما يزداد ابن أبي طالب إلا كرما)[١].

أقول:

إن هذا الظهور للسيدة عائشة في ساحة المعركة وهي تحتل منها محل القطب من الرحى وبهذه العدة الممثلة بنوع المركب (الجمل الأدبب)[٢]، وفي داخل الهودج اكسبها تحكما بسير المعركة وشحذ المقاتلين الذين استماتوا من حول الجمل الذي قتل من حوله (خلق كثير ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة)[٣].

ويمكن ملاحظة بعض الآثار لوجود عائشة في المعركة.

١ ـ كونها زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أكسبها مقام تحريم الرجال عليها حرمة أبدية فلا يحق لرجل من المسلمين الزواج بأي امرأة من أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم إذ جعلهن القرآن بمنزلة الأم لقوله تعالى:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[٤].

ولذا: نجدها تنادي في الناس: (الله الله، يا بني أذكروا يوم الحساب)، حينما

---

(١) عمدة القاري للعيني: ج١٥، ص٤٩ ـ ٥٠.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ج١٣، ص٤٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٧، ص٢٣٤.

(٣) عمدة القاري: ج١٥، ص٥٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

وصلت النبال إلى هودجها ، بمعنى : أن وجودها في المعركة أكسب الحرب سمة عقائدية فضلاً عن كونها خصماً في هذه الحرب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ ـ فضلاً عن كونها في المنزلة السابقة فإن وجودها على رأس الهرم في هذه الحرب وهي امرأة جالسة في الهودج يدفع بالرجال من الناحية النفسية إلى الدفاع عنها وإظهار مظاهر الشجاعة التي أظهرها بنو ضبة فوقعت فيهم مقتلة عظيمة.

إلا أن وجود أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في الجهة المقابلة وتحت أمرته أربعمائة ممن بايعوا تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار أحدث اختلالا في ميزان القوى لما يشكله هذا النسيج العقائدي الممثل بشخص الإمام علي عليه السلم والمهاجرين والأنصار وسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجعل نهاية هذه الحرب لصالح أمير المؤمنين عليه السلام على الرغم من أن عدد المقاتلين من أهل البصرة الذين التفوا حولها كانوا ثلاثين ألفاً ، أي بما يفوق أهل الكوفة والمدينة ومكة بعشرة آلاف مقاتل.

إذن :

تعطي وقعة الجمل مفهوماً جديداً لدى العسكريين والاجتماعيين يرتكز على معطيات جديدة في الحروب ، وهي كالآتي :

١ ـ إن حضور المرأة في المعركة في المجتمع العربي يعطي زخماً قتالياً للمقاتل لما تفرضه التنشئة العربية على الإنسان العربي من قيم الرجولة والحمية وصون الحرم ؛ إذ يشكل وجود المرأة في المعركة بما تحمله من ضعف في بنيتها الجسدية

والعاطفية شعاراً بالانتقاص من ذكوريته ورجولته، ولذا يجد نفسه ملزماً بالدفاع عنها ومواجهة أقرانه.

٢ـ إن المرأة حينما تحتل مركزاً عقائدياً وتكون على دفة القيادة فإن ذلك يدفع بالمقاتلين إلى التضحية والاستبسال بين يديها، ولعل التاريخ العربي غير غريب عليه هذه الحقيقة فقد مثل وجود زنوبيا ملكة تدمر، وبنات النعمان بن المنذر بعداً استراتيجيا في المعركة.

ثانيا: دور المرأة في معركة صفين وقتال علي عليه السلام القاسطين

لقد شكل وجود المرأة في معركة صفين تحولاً جديداً في تاريخ الحروب عند العرب خاصة والمسلمين عامة؛ وذلك لما شكله وجود المرأة من تعبئة عسكرية وعقيدة قتالية انعكست على المسلمين بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بعقود على الرغم من تمكن معاوية بن أبي سفيان من الجلوس على الحكم، بل لم يتمكن سلطان معاوية ونشوة العرش من إزالة صور تلك النساء اللاتي وقفن يزرعن في نفوس الرجال الهمم والروح القتالية التي ظلت مرارتها في حلق معاوية وأشياعه إلى يوم هلاكه.

ولعل الاكتفاء ببعض الشواهد من أولئك النسوة يغني اللبيب عن البحث عن دور المرأة في تغير مستوى الحرب بما يشكله وجودها من عقيدة قتالية مرتكزة على ما فطر عليه الإنسان العربي من صون للحرم.

فكيف إذا كانت هذه الحرم تنادي بالتوحيد وتصرخ بالموالاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١ ـ سودة بنت عمارة (رحمها الله تعالى)

يمكن الوقوف على أدوار هذه النساء في معركة صفين من خلال دخولهنَّ على معاوية بعد مضي سنين عديدة من جلوسه على كرسي الحكم في الشام وكشفه لتلك الآثار من خلال حديثه معهنّ.

روى ابن طيفور عن محمد بن عبيد الله قال: (استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قال:

هيه يا بنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة   يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليا والحسين ورهطه   واقصد لهند وابنها بهوان

إن الإمام أخو النبي محمد   علم الهدى ومنارة الإيمان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه   قدما بأبيض صارم وسنان

قالت: أي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب، قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت: حب علي عليه السلام وإتباع الحق.

قال فوالله ما أرى عليك من اثر علي شيئا، قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى وتذكار ما قد نسى، قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك، قالت: صدق فوك لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء:

إن صخرا لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

قال: صدقت لقد كان كذلك، فقالت: مات الرأس وبتر الذنب وبالله اسأل

أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه، قال: قد فعلت، فما حاجتك؟

قالت: انك أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلدا والله سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوه بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي واخذ مالي يقول لي فوهي بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته عنا فشكرناك وأما لا فعرفناك.

فقال معاوية: أتهددينني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه فأطرقت تبكي ثم تقول:

صلى الإله على جسم تضمنه   قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا   فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا قدم علينا من قبله فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين فاتيت عليا عليه السلام لأشكو إليه ما صنع بنا فوجدته قائما يصلي فلما نظر إليّ انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف:

«ألك حاجة؟».

فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال:

«اللهم انك أنت الشاهد عليّ وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك».

ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيأة طرف الجواب فكتب فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وما أنا عليكم بحفيظ إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام».

فأخذته منه والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقراته، فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيأ ما تفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها، قالت: إليّ خاص أم لقومي عام، قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي والله إذن الفحشاء واللوم إن لم يكن عدلا شاملا وإلاّ فأنا كسائر قومي، قال: اكتبوا لها ولقومها.

٢ ـ الزرقاء بنت عدي رحمها الله تعالى

وقال عيسى بن مهران، حدثني العباس بن بكار، قال: حدثني محمد بن عبيد الله عن الشعبي، قال: وحدثني أبو كر الهذلي عن الزهري، قال: حدثني جماعة من بني أمية ممن كان يسمر مع معاوية، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد ربه بن القاسم بن يحيى مقدم، قال: اخبرني محمد بن فضل المكي الضبي، قال: أخبرنا محمد الشافعي صاحب الرأي، عن أبيه محمد بن إبراهيم،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

عن خالد بن الوليد المخزومي، عن سعد بن حذافة الجمحي قال: سمر معاوية ليلة فذكر الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس امرأة كانت من أهل الكوفة وكانت ممن يعين عليا عليه السلام يوم صفين فقال لأصحابه:

أيكم يحفظ كلام الزرقاء؟ فقال: القوم كلنا نحفظه يا أمير المؤمنين، قال: فما تشيرون عليّ فيها؟ قالوا: نشير عليك بقتلها، قال: بئس ما أشرتم عليّ به، أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعد ما ملكت وصار الأمر لي.

ثم دعا كاتبه في الليل فكتب إلى عامله في الكوفة أن أوفد إليّ الزرقاء ابنة عدي مع ثقة من محرمها وعدة من فرسان قومها ومهدها وطاء لينا واسترها بستر حصيف، فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فاقرأها الكتاب فقالت أما أنا فغير زائغة عن طاعة وإن كان أمير المؤمنين جعل المشيئة إليّ لم ارم بلدي هذا وان كان حكم الأمر فالطاعة له أولى بي، فحملها في هودج وجعل غشاءه حبرا مبطنا بعصب اليمن ثم أحسن صحبتها وفي حديث المقدمي فحملها في عمارية جعل غشاءها خزا أدكن مبطنا بقوهى.

فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: خير مسير كأني كنت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا، قال: بذلك أمرتهم فهل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: سبحان الله إنى لي بعلم ما لم اعلم، وهل يعلم ما في القلوب إلاّ الله! قال: بعثت إليك أن أسألك ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال فما حملك على ذلك؟

قالت : يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر ، قال لها : صدقت فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟ قالت : ما أحفظه ، قال : ولكني والله أحفظه ، لله أبوك لقد سمعتك تقولين : (أيها الناس انكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها من فتنة عمياء صماء يسمع لقائلها ولا ينظر لسائقها أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وان الكوكب لا يقد في القمر وان البغل لا يسبق الفرس وإن الزف لا يوازن الحجر ولا يقطع الحديد إلاّ الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن استخبرنا أخبرناه إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل وغلب الحق باطله فلا يعجلن

أحد فيقول كيف وأنى ليقضي الله أمرا كان مفعولا ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في الأمور عواقبا أيها إلى الحرب قدما غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده).

ثم قال معاوية والله يا زرقاء لقد شركت عليا عليه السلام في كل دم سفكه ، فقالت : أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه ، قال لها : وقد سرك ذلك ، قالت : نعم ، والله لقد سرني قولك فأنى بتصديق الفعل ، فقال معاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته أحب من حبكم له في حياته ، أذكري حاجتك.

قالت : يا أمير المؤمنين إني قد آليت على نفسي أن لا أسأل أميرا أعنت عليه

شيئا أبدا ومثلك أعطى عن غير مسألة وجاد عن غير طلب ، قال : صدقت فاقطعها ضيعة أغلتها في أول سنة عشرة آلاف درهم وأحسن صفدها وردها والذين معها مكرمين.

٣ـ بكارة الهلالية

حدثني عبد الله بن عمرو قراءة من كتابه علي قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن المفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن خالد الوليد ، عمن سمعه من حذافة الجمحي ، قال : دخلت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان بعد أن كبرت سنها ودق عظمها ومعها خادمان لها وهي متكئة عليهما وبيدها عكاز فسلمت على معاوية بالخلافة فأحسن عليها الرد وأذن لها في الجلوس وكان عنده مروان بن الحكم وعمرو بن العاص فابتدأ مروان فقال : أتعرف هذه يا أمير المؤمنين؟ قال : ومن هي؟ قال : هي التي كانت تعين علينا يوم صفين وهي القائلة :

يا زيد دونك فاستثر من دارنا   سيفا حساما في التراب دفينا
قد كان مذخورا لكل عظيمة   فاليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال عمرو بن العاص : وهي القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هند للخلافة مالكا   هيهات ذاك وما أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة   أغراك عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنكد طائر بنحوسها   لاقت عليها أسعد وسعود

فقال سعيد : يا أمير المؤمنين وهي القائلة :

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى   فوق المنابر من أمية خاطبا

فالله أخر مدتي فتطاولت   حتى رأيت من الزمان عجائبا

في كل يوم لا يزال خطيبهم   وسط الجموع لآل أحمد عائبا

ثم سكت القوم، فقالت بكارة: نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني فقصر محجني وكثر عجبي وعشى بصري، وأنا والله قائلة ما قالوا لا ادفع ذلك بتكذيب فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين، فقال معاوية: انه لا يضعك شيء فاذكري حاجتك تقضَ، فقضى حوائجها وردها إلى بلدها.

(وحدثني) عيسى بن مروان، قال: حدثني محمد بن عبد الله الخزاعي، عن الشعبي، قال: استأذنت بكارة الهلالية على معاوية فأذن لها فدخلت وكانت امرأة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها فهي ترعش بين خادمين لها فسلمت ثم جلست، فقال معاوية: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين غيرك قال: غيرك الدهر، قالت: كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر، ثم ذكر الحديث على ما رواه سعد بن حذافة في حديث عبد الله بن عمرو ومن قول عمرو وسعيد ومروان ورواية في الحديث، قالت: إن عشى بصري وقصرت حجتي فانا قائلة ما قالوا وما خفي عليك أكثر، فضحك معاوية وقال: ليس بما نعي من برك يا خالة غير عدم مجيئك قالت: أما الآن فلا كلام أم الخير بنت الحريش البارقية.

حدثني عبد الله بن سعد، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله المقدمي، قال: أخبرنا محمد بن الفضل المكي، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد الشافعي، عن خالد ابن الوليد المخزومي، عن سعد بن حذافة الجمحي وحدثونيه، عن العباس بن

بكار، عن عبيد الله بن عمر الغساني، عن الشعبي، قال: كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن أوفد علي أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية رحلة محمودة الصحبة غير مذمومة العاقبة واعلم أني مجازيك بقولها فيك بالخير خيرا وبالشر شرا فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقرأها إياه، فقالت أم الخير: أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري تجري مجرى النفس يغلي بها غلي المرجل بحب البلسن يوقد بجزل السمر، فلما حملها وأراد مفارقتها قال: يا أم الخير إن معاوية قد ضمن لي عليه أن يقبل بقولك في بالخير خيرا وبالشر شرا فانظري كيف تكونين، قالت: يا هذا لا يطمعك والله برك بي في تزويقي الباطل ولا يؤنسنك معرفتك إياي أن أقول فيك غير الحق، فسارت خير مسير فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم ثلاثا ثم أذن لها في اليوم الرابع وجمع لها الناس فدخلت عليه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك السلام، وبالرغم والله

منك دعوتني بهذا الاسم، فقالت: مه يا هذا فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه، قال: صدقت يا خالة وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: لم أزل في عافية وسلامة حتى أوفدت إلى ملك جزل وعطاء بذل فأنا في عيش أنيق عند ملك رفيق، فقال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم وأعنت عليكم، قالت: مه يا هذا لك والله من دحض المقال ما تردى عاقبته، قال: ليس لهذا أردناك، قالت: إنما أجري في ميدانك إذا أجريت شيئا أجريته فاسأل عما بدا لك.

قال: كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر، قالت: لم أكن والله رويته قبل ولا زورته بعد وإنما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة فإن شئت أن

أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، قال: لا أشاء ذلك، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ قال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد، قال: هاته، قال: نعم، كأني بها يا أمير المؤمنين وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية، وهي على جمل أرمك، وقد أحيط حولها حواء، وبيدها سوط منتشر الضفر، وهي كالفحل يهدر في شقشقته، تقول: (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، إن الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله، أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق، أما سمعتم الله عزّ وجل يقول:

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾[1].

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرعب، وبيدك يا رب أزمة القلوب، فاجمع إليه الكلمة على التقوى، وألّف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والوصي الوفي، والصديق الأكبر، إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس، ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون صبرا، معشر الأنصار والمهاجرين قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأني بكم

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

غدا لقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى، عما قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة، إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل النار، أيها الناس إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستبطأوا مدة الآخرة فسعوا لها، والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش، وطيبه فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج ابنته، وأبي ابنيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وعلم المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلك يؤيده عزّ وجل بمعونته، ويمضي على سنن استقامته لا يعرج لراحة الدأب، ها هو مفلق الهام، ومكسر الأصنام، إذ صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وفرق جمع هوازن، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا وردة شقاقا، قد اجتهدت في القول، وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته).

فقال معاوية: والله يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك، قالت: والله ما يسوؤني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه، قال هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان، قالت وما عسيت أن أقول فيه استخلفه الناس وهم له كارهون، وقتلوه وهم راضون، فقال معاوية: إيها يا أم الخير هذا والله أصلك الذي تبنين عليه،

قالت: لكن الله يشهد بما انزل إليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا، ما أردت لعثمان نقصا ولكن كان سباقا إلى الخيرات وانه لرفيع الدرجة.

قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله، قالت: وما عسى أن أقول في طلحة اغتيل من مأمنه وأوتي من حيث لم يحذر وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة، قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: يا هذا لا تدعني كرجيع الصبيغ يعرك في المركن، قال حقا لتقولن ذلك وقد عزمت عليك، قالت: وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحواريه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة، ولقد كان سباقا إلى كل مكرمة في الإسلام، وأني أسألك بحق الله يا معاوية فإن قريشا تحدث انك أحلمها فأنا أسألك بان تسعني بفضل حلمك وأن تعفيني من هذه المسائل وأمض لما شئت من غيرها، قال: نعم، وكرامة قد أعفيتك وردها مكرمة إلى بلدها)[1].

وعليه:

يمكن إيجاز الملاحظة في وجود النساء في حروب الإمام علي عليه السلام بما يأتي:

١ ـ لم يكن هناك ـ بحسب الرواية التاريخية المتوفرة لدينا ـ وجود للأطفال؛ بمعنى لم يتم إخراج الأطفال إلى دار الحرب لا في حروب الإمام علي عليه السلام ولا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى ما كان من أمر مالك بن عوف في حربه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين.

٢ ـ إنّ رتبة القرابة لهؤلاء النسوة مع المقاتلين كانت تنحصر في الأخت

(١) بلاغات النساء لابن طيفور: ص٣٠ ـ ٣٩.

والأم، أو من لم يكن لها قرابة مع أحد سوى القرابة الولائية لعلي بن أبي طالب عليه السلام ورابط المودة للعترة المحمّدية صلوات الله عليهم أجمعين.

بمعنى: أن المقاتلين حرصوا على إبعاد حلائلهم وأطفالهم عن دار الحرب ما استطاعوا كي يكونوا في مأمن تام فضلاً عن صون حرمة الزوجة بما تفرضه العلاقة الزوجية على الرجل العربي من خصوصية.

من هنا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إلى هذا المعنى في حديثه مع عائشة بعد أن انتهت معركة الجمل قائلاً:

«يا حميراء! هل رسول الله أمرك بهذا الخروج عليّ؟ ألم يأمرك أن تقري في بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك عن بيتك، إذ صانوا حلائلهم وأبرزوك!!»[1].

٣ ـ انحصار خروج الزوجة وأولادها إلى دار الحرب في عاشوراء، وهذه خصوصية لم تلحظ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي أمير المؤمنين عليه السلام، بل لعلها الوحيدة في تاريخ الأمم سواء على المستوى الرسالي المرتبط بالسماء أو المستوى السياسي المرتبط بالملوك والحكام والقادة.

وعليه: فما هي تلك الآثار التي ترتبت على هذا التميز العاشورائي؟ وما هي النتائج التي حققها هذا الوجود لحرم الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف على المستويات كافة؟

هذه التساؤلات سنعرض لها في المباحث اللاحقة.

---

(١) كتاب الجمل لضامن بن شدقم المدني: ص١٤٦؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٢، ص٣٦٧، ط بيروت، بلفظة (إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك).



المبحث الثاني

معنى السبي وتاريخه

المسألة الأولى: معنى السبي لغة

قال أهل اللغة : السبي : النهب وأخذ الناس عبيداً وإماء ؛ والسبية : المرأة المنهوبة ، فعيلة ، بمعنى مفعولة ، وجمعها السبايا[1] .

ولا يقتصر نهب المرأة المسبية على سلب مالها ، أي : زينتها مقنعتها وملخصتها التي تغطي بها ظهرها أو سائر جسدها وإنما كل ما له ارتباط بها كالزوج والابن والابنة فتكون بذلك والهة.

و(الوله) : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، وقد وله بالكسر يوله ، ولها ، وولهان أيضاً ، بفتح اللام ، ورجل واله ، وامرأة واله أيضا ووالهة.

والتوليه : أن يفرق بين المرأة وولدها ؛ وفي الحديث :

«لا توله والدة بولدها» .

أي : لا تجعل والها وذلك في السبايا[2] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٢ ، ص٣٤٠.

(٢) مختار الصحاح لمحمد عبد القادر: ص٣٧٦ ؛ كتاب العين للخليل الفراهيدي: ج٤ ، ص٨٨ ؛ لسان العرب لابن منظور: ج٣، ص٥٦١.

المسألة الثانية: الجذور التاريخية لسبي المرأة

إن الإحاطة بتاريخ السبايا يلزم منا أن نفرد كتاباً مستقلاً ــ حسب ما يمليه منهج البحث ـ إلا أن ذلك لا يمنع من الوقوف على الجذور التاريخية لظهور هذه الحالة الاجتماعية وانعكاساتها على الإنسان ومحيطه الذي يحيا فيه والغرض من ذلك الوقوف على معرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور السبي في المجتمع العربي لتسري به بعد ذلك إلى المجتمع الإسلامي مما يجعل المتتبع أمام حقيقة مرة وهي عدم تمكن هؤلاء الأعراب من التخلص من الجاهلية وسننها والتعلق بمظاهرها وعاداتها.

فضلاً عن معرفة كونها سنة دخيلة على المجتمع العربي أو أنها عربية المنشأ والتصدير إلى الحد الذي لم يتمكن المسلمون من التخلص منها حتى بعد إسلامهم.

أولاً: أول من سبى السبايا من العرب

إن الوقوف على جذور السبي في الجزيرة العربية يدل على أنه، أي: السبي، كان منذ مدة ليست بالقصيرة قبل ظهور الإسلام، إذ يروي اليعقوبي في تاريخه قائلا:

(أول من سبى السبايا من العرب: سبا بن يعرب بن قحطان، وكان اسم (سبا) عبد شمس، وهو أول من ملك ملوك العرب وسار في الأرض وسبا السبايا)[1].

ويبدو من مراجعة بعض النصوص أن سبا بن يعرب لم يكن قد ابتدع هذه السنة في العرب بل إن الأمم السابقة والتي أحاطت بالجزيرة العربية قد كانت تتعامل مع المرأة في الحروب بهذه الكيفية فضلاً عن امتلاك الرجال لنزعة الغزو والاقتناص والظفر بالمال والنساء.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج١، ص١٩٥.

ثانيا: سبي المرأة في الأمم السابقة

من المعلوم أن الإسلام قد كافح هذه الحالة الطبيعة في المجتمع الإسلامي الناتجة عن الرق بعد أن كان الرقيق يعاملون بأسوأ المعاملة ؛ إذ تُملك المرأة المسبية فتكون مملوكة لمن سباها وأسرها وتحرم من جميع حقوقها الحياتية وتعامل كما تعامل الشاة يقدم لها العلف والماء ليؤخذ منها كل ما يمكن الانتفاع منه ، فبدنها ملك وولدها ملك لمن وضع يده عليها تباع وتشترى كما يباع غيرها مما يمتلكه الرجل.

كل هذه المعاناة والآلام حاربها الإسلام ووضع لها قانوناً جديداً يرتكز على حفظ كرامة الإنسان ولاسيما المرأة مع تقنين عملية الرق القائم على حفظ الحقوق الإنسانية أولاً وكسب الخدمة من الرق المملوك وحفظ حق المالك.

إلا أن هذا الجهد الكبير لم يكن موازياً لتلك الترسبات التاريخية التي ضربت في المجتمع الإنساني سواء كان في أرض الرافدين أو عند ارض النيل أو الرومان وغيرهم.

(ففي شريعة حمورابي أن أولاد الرجل من جاريته لا يعدون أولاداً شرعيين ، إلا إذا نسبهم إليه فإذا نسبهم إليه كان لهم حق الإرث ، وإلا فلا ميراث ، لكنهم يعتقون.

والرومان كانوا يعدون أولاد السبايا عبيداً كأمهاتهم.

وقد حدث (هيرودوت) عن اللاسيين أنهم كانوا يلقبون أولاد الإماء بأسماء أمهاتهم لا آبائهم ، فلو سئل أحدهم عن اسمه ذكر اسمه واسم أمه ثم جدته لأمه.

وأعجب من هذا أن المرأة الحرة إذا تزوجت عبداً عد أولادها أحراراً.

أما إذا كان الزوج حرا وامرأته أمة فأولادها رقيق، وإن كان أبوه أعظم رجل في المملكة.

وكان (اليهود) لا ينسبون ابن الجارية إلى أبيه وإن تهود، لقول الكتاب: (عصوا الله وجاءوا بنسل غريب) لذلك كان من الطبيعي ألا يرث.

وجرى (الآشوريون) على حرمان أبناء السبايا من الميراث إلا إذا لم يكن للأب أولاد من زوجة حرة.

وكذلك (البابليون) لم يورثوا ابن الأمة إلا إذا اعترف به أبوه أمام شهود.

وعدّ اليونان حرية هذا الابن إذا ادعاه أبوه ناقصة، لأنه من الجائز بعد موت أبيه أن يعود إلى الرق.

ولم تسم أمة بأبناء الإماء كما سمت مصر، لأن (المصريين) كانوا يسوونهم بأبناء الزوجات الشرعيات، حتى في التربية والميراث.

أما العرب قبل الإسلام فكانوا لا يلحقون أبناءهم من الإماء بنسبهم، فلا يرثون إلا إذا ادعوهم، وأشهدوا على أنهم ألصقوا بهم نسبهم، فإن لم يلحق الرجل ابنه بنسبه استعبده، وإذاً فقد كان أبناء الإماء عبيداً في نظر العرب واليونان والرومان واللاسيين واليهود والبابليين.

وكانوا محرومين من الميراث في عرف العرب وشريعة حمورابي واليهود والآشوريين والبابليين، وكانوا لا يلحقون بنسب الآباء في هذه الأمم إلا إذا ادعوهم.

ولم يغاير في هذا العرب إلا المصريون القدماء، وأرسطو)[1].

فهذا الرصيد التاريخي للسبايا والسبي والرق قد ضرب في الجزيرة العربية بكل قوة ونشأت حالة طبقية كبيرة في المجتمع العربي تعتمد على الغزو والأسر والسبي كي تروي ظمأ شهوات الرجال وتطفئ نيران غرائزهم وتشفي سقم سطوتهم على الضعفاء من الناس لاسيما المرأة.

ولذا: فقد واجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه النفوس بصبر وتأنٍ وحزم وجهد وجهاد حتى استطاع أن يغير كثيراً مما علق بالمجتمع الذي بعث فيه.

المسألة الثالثة: كيف كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السبايا؟

تكشف لنا النصوص التاريخية الأسلوب الذي كان يتعامل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السبايا هذا الأسلوب المتميز يظهر خصائص كثيرة، منها:

١ـ التغيير الجذري للطبقية الاجتماعية.

٢ـ إظهار الرحمة والعطف على المرأة المسبية.

٣ـ حفظ الحقوق الإنسانية.

٤ـ العفو سمة ملازمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وغيرها من الخصائص التي رافقت هذه المشاهد التاريخية، فكان منها:

(١) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين للسيد علي القبانجي: ص٤٥٥.

أولاً: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع جويرية بنت الحارث

ترجم ابن سعد في الطبقات لها قائلاً : (عن عائشة قالت : أصاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما ، فوقعت جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشفر فقتل عنها ، فكاتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق ، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه.

فبينا النبي ، صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ، عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ، صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت.

فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من الأمر ما قد علمت فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق ، فأعني في فكاكي ، فقال :

«أو خير من ذلك؟».

فقالت : ما هو؟ فقال :

«أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك».

قالت : نعم يا رسول الله ، فقال رسول الله :

«قد فعلت».

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله، صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم، يسترقون! فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها، وذلك منصرفه من غزوة المريسيع.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا منصور بن أبي الأسود وسفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبي قال: كانت جويرية من ملك اليمين فأعتقها رسول الله، صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم، وتزوجها)[1].

أقول:

الرواية واضحة الدلالة على غيرة عائشة من كل امرأة فيها جمال لدرجة الخوف من دخول أم المؤمنين جويرية عليه، وهذا فضلاً عن التعريض بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي تصفه الرواية بأنه سريع الانجذاب للمرأة الجميلة كما تصف عائشة. في حين أن النبي لم يطلب منها الزواج ولم يعرض عليها ذلك بل أبوها الذي افتداها كما افتدى بنو المصطلق نساءهم من المسلمين فلم تبقَ امرأة مسبية، كما يدل عليه ما رواه ابن سعد أيضاً:

فقال: أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن أبي الأبيض مولى جويرية عن أبيه قال: سبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني المصطلق فوقعت جويرية في السبي فجاء أبوها فافتداها ثم أنكحها رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بعد[2].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨، ص١١٦.

(٢) المصدر نفسه.

وفي لفظ آخر يكشف كيفية تعامل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع السبايا، فيقول ابن سعد:

(وكان السبي منهم من منّ عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بغير فداء، ومنهم من افتدي، فافتديت المرأة والذرية بسبب فرائض وقدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها)[1].

ثانيا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمة عدي بن حاتم لما سباها المسلمون

وهذا مشهد آخر من مشاهد الرحمة والعفو الذي كان يتفجر من جوانح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سبى المسلمون امرأة من أرض الشام.

قال الطبراني وهو يروي عن الشعبي عن عدي بن حاتم، قال: (لما قدم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المدينة وهاجر إليها جعل يبعث السرايا فلا يزال إبل قوم قد أغارت عليها خيلة فلما رأيت ذلك قلت والله لو خلفت إجمالا من ابلي فكانت تكون قريبا فوالله ما شعرت ذات يوم إذ راعي الإبل قد جاء يعدو بعصاه قلت: ويلك ما لك، قال: أغير والله على النعم، قلت: من أغار عليها، قال: خيل محمد، قلت: لنفسي هذا الذي كنت أحذر فوثبت أرحل اجمالي أنجو بأهلي وكنت نصرانيا ولي عمة فدخلت فقلت: ما ترى يصنع بها وحملت امرأتي وجاءتني عمتي فقالت: يا عدي أما تتقي الله أن تنجو بامرأتك وتدع عمتك فقلت ما عسى ان يصنعوا بها امرأة قد خلي من سنها فمضيت ولم التفت إليها حتى

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص٦٤.

وردت الشام فانتهيت إلى قيصر وهو يومئذ بحمص فقلت: اني رجل من العرب وأنا على دينك وان هذا الرجل ليتناولنا فكان المفر إليك.

قال اذهب فأنزل مكان كذا وكذا حتى نرى من رأيك فذهبت فنزلت المكان الذي قال لي فكنت به حينا فبينا أنا ذات يوم إذا أنا بظعينة متوجهة إلينا حتى انتهت إلى بيوتنا فإذا هي عمتي فقالت لي: يا عدي أما اتقيت الله أن نجوت بامرأتك وتركت عمتك قلت قد كان ذلك فأخبرينا ما كان بعدنا، قالت: إنكم لما انطلقتم أتتنا الخيل فسبونا وذهب بي في السبي حتى انتهيت إلى المدينة وكنا في ناحية من المسجد فمر علينا رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عند القائلة وخلفه رجل يتبعه وهو علي بن أبي طالب فأومأ إلي ذلك الرجل أن كلميه فهتفت به فقلت: يا رسول الله هلك الولد وغاب الوافد فمنّ علي منّ الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«**ومن وافدك**».

قلت عدي بن حاتم، قال:

«**الذي فر من الله ورسوله**».

ثم مضى ولم يلتفت إلي حتى كان الغد فمر بي نحو تلك الساعة وخلفه ذلك الرجل فأومأ إلي أن كلميه فهتفت به فقلت: يا رسول الله هلك الولد وغاب الوافد فمنّ علي منّ الله عليك، قال:

«**ومن وافدك**».

قلت عدي بن حاتم الطائي، قال:

«**الذي فر من الله ورسوله**».

ولم يلتفت إلي فلما كان اليوم الثالث نحوا من تلك الساعة مر وخلفه ذاك يعني عليا فأومأ أن كلميه فأومأت إليه بيدي أن قد كلمته مرتين فأومأ كلميه أيضا فهتفت به فقلت: يا رسول الله هلك الولد وغاب الوافد فمنّ علي منّ الله عليك، قال:

«ومن وافدك».

قلت عدي بن حاتم، قال:

«الذي فر من الله ورسوله».

ثم قال:

«اذهبي فأنت حرة لوجه الله عز وجل فإذا وجدت أحدا يأتي أهلك فأخبرينا نحملك إلى أهلك».

قالت: فانطلقت فإذا أنا برفقة من تنوخ يحملون الزيت فباعوا زيتهم وهم يرجعون فحملني على هذا الجمل وزودني.

قال عدي ثم قالت لي عمتي: أنت رجل أحمق أنت قد غلبك على شرفك من قومك من ليس مثلك ائت هذا الرجل فخذ بنصيبك، فقلت: وإنه لقد نصحت لي عمتي فوالله لو أتيت هذا الرجل فإن رأيت ما يسرني أخذت وان رأيت غير ذلك رجعت وكنت أضن بديني فأتيت حتى وصلت المدينة في غير جوار فانتهيت إلى المسجد فإذا أنا فيه بحلقة عظيمة ولم أكن قط في قوم إلا عرفت فلما انتهيت إلى الحلقة سلمت فقال لي رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«من أنت».

قلت: أنا عدي بن حاتم الطائي، وكان أعجب شيء إليه أن يسلم عليه أشراف العرب ورؤوسهم، فوثب من الحلقة فأخذ بيدي فوجه بي إلى منزله فبينا هو يمشي معي إذ نادته امرأة وغلام معها يا رسول الله إن لنا إليك حاجة فخلوا به قائما معهما حتى أويت له من طول القيام قلت في نفسي أشهد أنك بريء من ديني ودين النعمان بن المنذر وإنك لو كنت ملكا لم يقم معه صبي وامرأة طول ما أرى فقذف الله في قلبي له حبا حتى انتهيت إلى منزله فألقى إلي وسادة حشوها ليف فقعدت عليها وقعد هو على الأرض فقلت: في نفسي وهذا، ثم قال لي:

«ما أفرك من المسلمين إلا أنك سمعتهم يقولون لا إله إلا الله وهل من إله إلا الله وما أفرك من المسلمين إلا انك سمعتهم يقولون الله أكبر فهل تعلم شيئا هو أكبر من الله عز وجل».

فلم يزل حتى أسلمت وأذهب الله عز وجل ما كان في قلبي من حب النصرانية)[1].

ثالثا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا اليهود

لم يزل حبيب الرحمان صلى الله عليه وآله وسلم يغدق الناس بالرحمة ويحنو على الضعاف لاسيما المرأة والطفل دون النظر إلى العرق أو اللون أو المعتقد.

فها هو يرحم سبايا اليهود ويؤنّب بلالاً لأنه مرّ بامرأتين يهوديتين على قتلاهما في فتح خيبر ليجل التاريخ أعظم المشاهد الإنسانية في تاريخ الأمم وحضارات الشعوب.

---

(١) الأحاديث الطوال للطبراني: ص١٤ ـ ١٦.

روى المجلسي رحمه الله في فتح خيبر:

(وأخذ علي فيمن أخذ صفية بنت حيي ، فدعا بلال فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلا في يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومرّ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القتلى وقد كادت تذهب روحها جزعاً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أنزعت منك الرحمة يا بلال؟**».

ثم اصطفاها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لنفسه ثم أعتقها وتزوّجها)[(١)].

ويروي ابن إسحاق جانباً من هذا المشهد فيقول:

(لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصن ابن أبي الحقيق أتي بصفية ابنة حيي ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال فمرّ بهما على قتلى من اليهود فلما رأتهم التي مع صفية صكت وجهها وصامت وحثت التراب على رأسها.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم غربوا هذه الشيطانة عني وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه فعرف به الناس أنه اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبلال حيث رأى من اليهودية ما رأى:

«**يا بلال نزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما**»)[(٢)].

وبعد هذه الشواهد من الرحمة والإنسانية التي يرويها التاريخ عن سيد

---

(١) البحار للمجلسي: ج٢١ ، ص٢٢.

(٢) سيرة ابن إسحاق: ج٥ ، ص٢٤٦.

الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون حاله مع المرأة المسلمة التي تضام وتهان وتذل بما لم تذل به نساء اليهود والديلم؟!

والسؤال الذي يفرض نفسه في البحث: إذا كان نبي الإسلام هكذا يتعامل مع اليهود والمشركين، فكيف يكون حاله وهو يرى بناته سبايا بأيدي المسلمين؟ قد قتلوا أبناءهن وإخوانهن وأزواجهن ونهبوا حجابهن وحليهن وربطوهنّ بالحبال وساقوهن بالسياط؟!!!

لعل الجواب معلوم لدى أصحاب الضمائر الحية، أما من مات ضميره فلن يسأل عن شيء.

المسألة الرابعة: أبو بكر أول من سن سبي المرأة المسلمة

لعل الكثيرين لا يروق لهم العنوان لاسيما وهو ابن ثقافة موروثة صنعتها يد الساسة التي سخرت جميع طاقاتها من أجل رسم صورة مخالفة لما جاء به القرآن الكريم والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: قد يصعب على بعض من المسلمين أن يتصور أن أول من سن سبي المرأة المسلمة هو أبو بكر بن أبي قحافة، ولا يصعب عليه سبي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرضه ولحمه ودمه فهاهن بنات علي بن أبي طالب تتقدمهن زينب بنت فاطمة الزهراء عليهم السلام وهن مكشوفات الرؤوس مربطات بالحبال تعلوهن سياط المسلمين ويطاف بهن في بلاد المسلمين.

عجيب هذا المسلم الذي ينتفض لهذا العنوان ولا تحرك سبايا آل محمد غيرته

على دينه وشرفه!! بل وإنسانيته، إن بقي من إنسانيته شيء بعد ذبح الطفل الرضيع من أبناء محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: ليس من الغريب على المسلمين أن يشاهدوا المسلمات وهن سبايا بعد أن شاهدوا خالد بن الوليد يقتل المسلمين ويزني بنسائهم في الليلة نفسها كما حدث لمالك بن النويرة وزوجته، ولعل اعتراض عمر بن الخطاب على هذه الجريمة وموقفه من خالد بن الوليد يعطي صورة واضحة عن تلك الجريمة والانتهاكات التي حدثت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكما يروي الطبري قائلاً:

(وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهما فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال: أرئاء؟! قتلت امرأً مسلما ثم نزوت على امرأته. والله لأرجمنك بأحجارك.

ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه حتى دخل على أبي بكر فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك.

قال: فخرج خالد حين رضا عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة قال: فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته)[1].

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٥٠٤؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج٦، ص٣٥٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٧، ص٢٠٧؛ أسد الغابة: ج٤، ص٢٩٦؛ إمتاع الأسماع للمقريزي: ج١٤، ص٢٤٠؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٢، ص٣٥٩.

وفي قول آخر أن عمر بن الخطاب حينما سمع الخبر قبل مجيء خالد إلى المدينة، قال: (عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته)[١].

ولقد تحدثت بعض المصادر الأخرى عن صورة جديدة لهذه الحادثة التي لم تشأ كثير من المصادر إظهارها كي لا يلحقهم العار بمن يتولون ويأتمون.

فقد روى الراوندي (المتوفى سنة ٥٧٣هـ) قائلا: (لما قعد أبو بكر بالأمر بعث خالد بن الوليد إلى بني حنيفة ليأخذ زكاة أموالهم فقالوا لخالد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبعث كل سنة من يأخذ صدقات الاموال من الاغنياء من جملتنا، ويفرقها في فقرائنا، فافعل أنت كذلك.

فانصرف خالد إلى المدينة وقال لأبي بكر: إنهم منعوا (من) الزكاة، فأعطاه عسكرا (فرجع خالد) وأتى بني حنيفة وقتل رئيسهم، وأخذ زوجته ووطئها في الحال وسبى نسوانهم ورجع بهن إلى المدينة، وكان ذلك الرئيس صديقا لعمر (في الجاهلية)، فقال عمر لأبي بكر: اقتل خالدا به، بعد أن تجلده الحد بما فعل بامرأته.

فقال له أبوبكر: إن خالدا ناصرنا، تغافل، وأدخل السبايا في المسجد وفيهن خولة، فجاءت إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله والتجأت به وبكت وقالت: يا رسول الله نشكو إليك أفعال هؤلاء القوم، سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون.

ثم قالت: أيها الناس لم سبيتمونا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٥٠٤؛ خزانة الأدب للبغدادي: ج٢، ص٢٦؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج٣، ص٣٦.

فقال أبوبكر: منعتم الزكاة، قالت: ليس الأمر على ما زعمت، إنما كان كذا وكذا، وهب الرجال منعوكم الزكاة بزعمكم، فما بال النسوان المسلمات سبين)[١].

وفي رواية أخرى تفصح هذه المرأة عن حقيقة هذه الحرب التي شُنّت ضدهم والتي كان ظاهرها إمضاء رأي أبي بكر في جمع الزكاة وتحويله إلى يديه ينفقه حسب ضرورياته خلافاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إنفاقه في الفقراء من بني حنيفة ليكون المال منهم وإليهم فتقول خولة الحنفية وقد توجهت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخاطبه: (السلام عليك هؤلاء أُمتك سبتنا سبي الترك والديلم، والله ما كان لهم من ذنب إلا الميل على أهل بيتك فحولت الحسنة سيئة والسيئة حسنة، فسبينا...)[٢].

وعليه:

يتضح من ذلك أن المسلمين قد ألفوا سبي النساء المسلمات بعد أن سن لهم أبو بكر ذلك ليتعدى الأمر إلى أعظم رزاياه في يوم عاشوراء. وعلى أعقاب أبي بكر يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد فكانت مشاهد لم يشهد لها التاريخ نظيراً منذ أن اصطفى الله تعالى آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم. قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

(١) الخرائج والجرائح للراوندي: ج٢، ص٥٦٣ ـ ٥٦٤؛ بحار الأنوار: ج٤١، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) مسند الإمام الرضا عليه السلام للشيخ عزيز الله عطاردي: ج١، ص١١٧.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣ و ٣٤.



المبحث الثالث

معنى المشيئة الإلهية، وهل هذه المشيئة تعطل العقاب الإلهي؟

إنّ حضور المرأة في كربلاء ومن خلال الدراسة في التاريخ الحربي للعرب والمسلمين يعد حضوراً متميزا وفريدا وملهما ومؤسساً لأصول عقائدية وحياتية جديدة لم يعهدها الإنسان قبل كربلاء ولم يتهيأ له مستقبلاً نظير لها ، وذلك لما جمع في كربلاء من مقومات اختارتها المشيئة الإلهية لتكون محوراً وسطياً لهذه الأمة في بناء العقيدة والإصلاح.

من هنا : نجد أن الإمام الحسين عليه السلام حينما اعترضه محمد بن الحنفية عند خروجه إلى العراق مستفهما منه عن العلة في إخراجه لهؤلاء النسوة فأجابه عليه السلام :

«**قد شاء الله أن يراهن سبايا**».

لم يكن قوله عليه السلام إسكاتاً لما بدا على ابن الحنفية من تساؤلات عديدة لم يشأ أن يبوح بها فاختزلها بقوله : فما بال حملك لهذه النسوة؟ فقال هذه الكلمات القليلة التي في ظاهر الرواية التاريخية إنها أسكتته فلم يبُحْ بعدها بكلمة حتى بدا للقارئ أن المراد هو هذه النتيجة.

في حين أن الإمام الحسين عليه السلام قد كشف لأخيه أحد أعظم الحقائق التي ارتبطت بهذا الخروج ، وما أشبه هذا القول منه عليه السلام بقوله تعالى لأم

موسى حينما بدا عليها الخوف وتملكتها الحيرة في التعامل مع ولدها موسى ماذا تصنع به! فجاء الجواب:

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(١).

وليت شعري: أي المقامين أعظم؟! فإن كان الملقى في أحضان البحر فرداً واحداً فإن أبناء محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد ألقوا في أخاديد الحراب وافترشوا نصال النبال وعانقوا السيوف؛ وهل رد ابن فاطمة لأمه سالماً معافىً أو رد إليها مقطع الأعضاء؟! لله الأمر من قبل ومن بعد.

إلا أن الآثار والنتائج التي حققها هذا الخروج لم تكن أقل شأناً من آثار إلقاء موسى في البحر ونتائج ذلك إن لم تفقها في مواضع كثيرة، فكم من فرعون وفرعون دكت العقيلة زينب عروشه إلى يوم القيامة، وكم من دفاع عن التوحيد ونبذ للشرك قد أثبتته الظعينة التي أخرجها الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن الدفاع عن الولاية والنبوة وإعادة الإسلام إلى مساره الذي وضعه له الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه: قد يجد القارئ ضرورة في بيان معنى الإشاءة التي تصدرت كلام الإمام الحسين عليه السلام، وما الفرق بينها وبين الإرادة، وهل إن الإشاءة الإلهية تعني رفع العقاب عن القتلة لأن الله شاء أن يراهن سبايا؟

وجوابه في مسائل:

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

المسألة الأولى: معنى المشيئة الإلهية

هنا ينبغي بنا أن نضع بين يدي القارئ المراد من المشيئة الإلهية كي يتضح لدينا المراد من قول الإمام الحسين عليه السلام:

«قد شاء الله أن يراهن سبايا».

وهل تكون المشيئة الإلهية معطلة للعقاب بكينونة أن الله تعالى قد شاء ذلك ومن ثم لا يعاقب الجاني؟ فهذا السؤال وغيره يمكن لنا الإجابة عنه من خلال الوقوف على معنى المشيئة الإلهية، وذلك من خلال اللغة والقرآن والسنة ولو من قبيل الإشارة كي لا نسهب في البيان.

أولاً: المشيئة لغة

لا يختلف معنى الإرادة عند أهل اللغة عن معنى المشيئة، فكلاهما يدل على معنى واحد[١]؛ فـ(المشيئة) مهموزة: الإرادة، وقد شئت الشيء أشاؤه[٢]، وقيل: إن المشيئة أخص من الإرادة[٣].

وإنما فرق بين قول ما شاء الله وشئت، وما شاء الله ثم شئت، لأن الواو تفيد الجمع دون الترتيب، وثم تجمع وترتب، فمع الواو يكون قد جمع بين الله وبينه في المشيئة، ومع (ثم) يكون قد قدم مشيئة الله على مشيئته[٤].

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ج١، ص٢٩٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج١، ص١٠٤.

(٣) مختار الصحاح لعبد القادر: ص١٨٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج٢، ص٥١٧.

ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما شاء الله ثم شئت»[(١)].

وقيل: إن الفرق بين الإرادة والمشيئة: إن الإرادة هي العزم على الفعل أو الترك بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك؛ وهي أخص من المشيئة، لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم، فإنك ربما شئت شيئاً ولا تريده لمانع عقلي أو شرعي.

وأما الإرادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة[(٢)].

ثانيا: المشيئة في القرآن

أما القرآن الكريم فقد اشتمل على آيات كثيرة حول المشيئة مما يجعل تتبعها وبيان معانيها ودلالاتها يعد في حد ذاته بحثاً مستقلاً؛ إلا أن خير ما يمكن أن يظهر معنى المشيئة في القرآن وبشكل موجز ما تناوله الشريف المرتضى في أحدى رسائله العقائدية، فكان كلامه بحق وافياً لمن أراد أن يحيط بمعنى المشيئة وعلاقتها بالإيمان، فقال رحمه الله تعالى وتحت عنوان: الإيمان وحقيقة المشيئة ما يأتي:

(فإن سألوا عن معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

---

(١) النهاية في ترتيب الحديث لابن الأثير: ج٢، ص٥١٧.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٣٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٩.

قيل لهم: معنى ذلك لو شاء ربك لألجأهم إلى الإيمان، لكنه لو فعل ذلك، لزال التكليف، فلم يشأ ذلك بل شاء أن يطيعوا على وجه التطوع والإيثار لا على وجه الإجبار والاضطرار، وقد بين الله ذلك فقال:

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾.

يريد إني أنا أقدر على الإكراه منك ولكنه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[1].

وكذلك الجواب في قوله:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾[3].

وقوله:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[4].

ولو شاء لحال بينهم وبين ذلك، ولو فعل ذلك لزال التكليف عن العباد، لأنه لا يكون الأمر والنهي إلا مع الاختيار لامع الإلجاء والاضطرار.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٩

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وقد بين الله (ذلك) بما ذكرنا من قوله :

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾[١].

فأخبر أنه لو شاء لأكرههم على الإيمان.

وقد بين ذلك ما ذكرناه من قصة فرعون وغيره أنه لم ينفعهم الإيمان في وقت الإكراه.

وقد بين الله في كتابه العزيز أنه لم يشأ الشرك ، وكذب الذين أضافوا إليه ذلك ، فقال تعالى :

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[٢].

فأخبروا أنهم إنما أشركوا بمشيئة الله تعالى فلذلك كذبهم : ولو كانوا أرادوا أنه لو شاء الله لحال بيننا وبين الإيمان لما كذبهم الله ، قال الله تكذيبا لهم :

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾.

يعني عذابنا.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾.

يعني هل عندكم من علم أن الله يشاء الشرك ثم قال :

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

يعني تكذبون.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

كقوله:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[١].

وقال عز وجل:

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٢].

يعني يكذبون.

وقال عز وجل:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣].

خبر أن الرسل قد دعت إلى الإيمان، فلو كان الله تعالى شاء الشرك لكانت الرسل قد دعت خلاف ما شاء الله، فعلمنا أن الله لم يشأ الشرك.

فإن قال بعض الأغبياء: فهل يشاء العبد شيئا أو هل تكون للعبد إرادة؟

قيل له:

نعم قد شاء ما أمكنه الله من مشيئته ويريد ما أمره الله بإرادته، فالقوة على الإرادة فعل الله والإرادة فعل العبد.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٠.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٥.

والدليل على ذلك قول الله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[1].

وقال تعالى:

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[2].

وقال:

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾[3].

وقال:

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾[4].

وقال:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾[5].

وقال:

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[6].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة المزمل، الآية: ١٩.

(٣) سورة نبأ، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٥٦.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٩.

وقال:

﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[(١)].

وقال:

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[(٢)].

وقال فيما بين أن العبد قد يريد ما يكره الله من إرادته فقال:

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[(٣)].

وقال:

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[(٤)].

وقال:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾[(٥)].

فأخبر أنهم لو أرادوا لفعلوا كما فعل من أراد الخروج.

وقال:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الفتح، الآية: ١٥.

وقال:

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(١).

وقال:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾(٢).

وما أشبه ما ذكرنا أكثر من أن نأتي عليه في هذا الموضع.

فإن قال: فما معنى قوله:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٣).

قيل له: إن الله ذكر هذا المعنى في موضعين، وقد بينهما ودل عليهما بأوضح دليل وأشفى برهان على أنها مشيئته في الطاعة، فقال:

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤).

فهو عز وجل شاء الاستقامة ولم يشأ الاعوجاج ولا الفكر، وقال في موضع آخر:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٣) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٤) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ و ٢٩.

(٥) سورة الإنسان، الآيتان: ٢٩ و٣٠.

فالله قد شاء اتخاذ السبيل ولم يشأ العباد ذلك إلا وقد شاء الله لهم، فأما الصد عن السبيل وصرف العباد عن الطاعة فلم يشأ عز وجل)[١].

وفيها هذا البيان الوافي والشافي يتضح لنا أن المشيئة الإلهية بريئة مما يقوله العصاة والظالمون فيما يصدر عنهم من أفعال قبيحة ومخالفة للشريعة بأن الله تعالى هو الذي أراد لهم ذلك فتعال الله عما يصفون علواً كبيراً بل هم الذين أرادوا هذا الفعل.

ثالثا: المشيئة في السنة

قد لا يخفى على كثيرٍ من أهل المعرفة أن المراد بالسنة عند مذهب الإمامية هو: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره وقول عترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين فرض مودتهم على الخلائق وأوجب على الخلق كافة طاعتهم فهم حجج الله تعالى على البرايا وأوصياء خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

فقول الأئمة الإثني عشر مع قول أمهم فاطمة بضعة النبوة وفعلهم وتقريرهم هو المراد به بالسنة.

وعليه:

فقد ورد في السنة المحمدية أحاديث كثيرة تظهر معنى المشيئة وتدل على مفهومها ومصداقها.

ومنها:

---

(١) رسائل المرتضى للشريف المرتضى: ج٢، ص٢٣٤ ـ ٢٣٨.

١ـ أخرج الشيخ الكليني عن سليمان الديلمي، (عن علي بن إبراهيم الهاشمي: قال سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول:

«لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى».

قلت: ما معنى شاء؟ قال:

«ابتدأ الفعل».

قلت: ما معنى قدر؟ قال:

«تقدير الشيء من طوله وعرضه».

قلت: ما معنى قضى؟ قال:

«إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مرد له»)[١].

٢ـ وعنه رحمه الله تعالى، (عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

«أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر أبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة، وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل»)[٢].

٣ـ وعنه رحمه الله، (عن فتح بن يزيد الجرجاني: عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن لا يأكلا من الشجرة وشاء

(١) الكافي للشيخ الكليني، باب: المشيئة والإرادة، ج١، ص١٥٠.

(٢) المصدر نفسه.

ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى»)[1].

٤ـ وعنه رحمه الله، عن فضيل بن يسار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«شاء وأراد ولم يحب ولم يرض شاء ألا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحب أن يقال: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر».

٥ـ وعنه رحمه الله عن أبي نصر قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام، قال الله:

«يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أديت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً، قويا، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذاك أني أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذاك أنني لا أسألك عما أفعل وهم يسألون»[2].

وتدل هذه الأحاديث الشريفة على أن الاختيار في الطاعة والمعصية للعبد وأن البيان لطريق الخير والشر على الله تعالى، ولذا بعث الأنبياء والرسل، ولو شاء لجعل الناس على عماهم لكن أراد لبني آدم الكرامة فبعث لهم الأنبياء والمرسلين ليزكيهم ويهديهم صراطه المستقيم فمن شاء منهم أن يؤمن فقد آمن، ومن شاء منهم أن يكفر، فقد كفر.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني، باب: المشيئة والإرادة: ج١، ص١٥٠.

(٢) الكافي للكليني في باب: المشيئة والإرادة، ج١، ص١٥١.

المسألة الثانية: المشيئة التشريعية والمشيئة التكوينية

بقي أن نورد ما يتعلق بالمشيئة وأنها في حقيقة تكوينها تنقسم إلى (المشيئة التشريعية و(المشيئة التكوينية) واللتين يتضح بهما معنى قول الإمام الحسين عليه السلام:

«قد شاء الله أن يراني قتيلاً، وقد شاء الله أن يراهن سبايا».

فنقول:

إن الله تعالى قد شاء أن يجعل الأرض دار اختبار وبلاء، وشاء أن يجعل فيها خليفة وأنبياء ورسلاً وأئمة، وشاء أن يجعل هذا الإنسان مكوناً من غرائز وشهوات وعقل وهذا وما شابهه كله من الإشاءة التكوينية.

وأما الإشاءة التشريعية: فهي أن الله تعالى قد شاء أن يعبد وحده لا شريك له، وأن يؤمن برسله وأنبيائه، وكتبه، وشاء سبحانه من عباده طاعة هؤلاء الأنبياء، وشاء أن فرض عليهم العبادات والمعاملات وشاء أن لا يظلم الإنسان الإنسان وشاء أن يتراحموا ويتباروا وغيرها من التشريعات الإلهية وكلها ضمن مشيئته سبحانه.

إلا أن الإنسان خلط بين المشيئة التكوينية والمشيئة التشريعية؛ كي يجد مبرراً وعذراً لا يقترفه من ذنوب ومعاصٍ وتعدٍ للحدود فيجعل وعلى سبيل المثال؛ القتل غرضاً للسرقة أو للوصول إلى السلطة ثم يقول لو شاء الله لم يقتل فلان أو لم أكن قاتلاً في حين أن الإنسان القاتل هو الذي شاء قتل أخيه بعد أن انقاد لشهواته وغرائزه؛ فالموت هنا: مشيئة تكوينية، لكن طريقة الموت وهو القتل

مشيئة تشريعية بمعنى: أن الله تعالى شاء حرمة القتل ونهى عنه وحذر منه وعاقب عليه لكن القاتل بيده شاء ذلك.

من هنا:

نجد أن القرآن الكريم يتعرض في أكثر من موضع لهذه الحقيقة وأن المشيئة، هي مشيئتان، مشيئة تكوينية ومشيئة تشريعية، وذلك من خلال قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وفي بيان هذه المسألة يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله:

(وقوله:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾.

جوابهم للدعوة إلى الانفاق، وإنما أظهر القائل ـ الذين كفروا ـ ومقتضى المقام الإضمار للإشارة إلى أن كفرهم بالحق وإعراضهم عنه باتباع الشهوات هو الذي دعاهم إلى الاعتذار بمثل هذا العذر المبني على الاعراض عما تدعو إليه الفطرة من الشفقة على خلق الله وإصلاح ما فسد في المجتمع كما أن الاظهار في قوله: (الذين آمنوا) للإشارة إلى أن قائل (أنفقوا مما رزقكم الله) هم الذين آمنوا.

وفي قولهم: (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) إشعار بأن المؤمنين إنما قالوا لهم: (أنفقوا مما رزقكم الله) بعنوان أنه مما يشاؤه الله ويريده حكما دينيا فردوه بأن إرادة الله لا تتخلف عن مراده فلو شاء أن يطعمهم أطعمهم أي وسع في رزقهم

(١) سورة يس، الآية: ٤٧.

وجعلهم أغنياء.

وهـذه مغالطـة مـنهم خلطـوا فيـه بـين الإرادة التـشريعية المبنيـة علـى الابـتلاء والامتحان وهداية العباد إلى ما فيه صلاح حالهم في دنياهم وآخرتهم، ومن الجائز أن تتخلف عن المراد بالعصيان، وبين الإرادة التكوينية الـتي لا تتخلـف عـن المـراد. ومن المعلوم أن مشيئة الله وإرادته المتعلقة بإطعام الفقراء والانفاق عليهم من المشيئة التشريعية دون التكوينية فتخلفها في مورد الفقراء إنما يدل على عصيان الذين كفروا وتمردهم عما أمروا به لا على عدم تعلق الإرادة به وكذب مدعيه.

وهـذه مغالطـة بنـوا عليهـا جـل مـا افتعلـوه مـن سـنن الوثنيـة وقـد حكـى الله سبحانه ذلك عنهم في قوله:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[١].

وقوله:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[٢].

وقوله:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾[٣].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

وقوله:

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

من تمام قول الذين كفروا يخاطبون به المؤمنين أي إنكم في ضلال مبين في دعواكم أن الله أمرنا بالانفاق وشاء منا ذلك)[2].

وبهذا يتضح أن الله تعالى قد شاء أن يرى بنات الرسالة سبايا مشيئة تكوينية ليرى سبحانه وهو العالم بحقائق الأشياء ومحيط بدقائق الأمور صبرهن وطاعتهن ليكون ذلك، أي الصبر ضمن المشيئة التشريعية، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: قد شاء سبحانه في المشيئة التشريعية أن يبتلي الأمة بمودة آل محمد فكان سبيهن انتهاكا للمشيئة التشريعية لأن الله تعالى لا يشرع الظلم والقتل.

وعليه:

فإن انتهاك حرمتهم وقتلهم وسبي نسائهم وأطفالهم من أعظم الانتهاكات التشريعية لما يترتب على ذلك من تعد على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الرسالات والتشريعات الإلهية.

---

(١) سورة يس، الآية: ٤٧.

(٢) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج١٧، ص٩٣ ـ ٩٤.



المبحث الرابع

من هم عيال الإمام الحسين عليه السلام؟ وما هو عددهم؟

ليس من السهل على الباحث الوقوف عند العدد الحقيقي للنساء اللاتي أخرجهن الإمام الحسين عليه السلام معه إلى كربلاء، وذلك لما أحاطت به البيوت النبوية من الحشمة والعفة.

لاسيما أن هؤلاء النساء قد انحصر ارتباطهن بعلي أمير المؤمنين عليه السلام من جهة، ومن جهة أخرى ببنات الإمام الحسين عليه السلام وأزواجه ومن ثم يكون الرجوع إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، في كلا الحالين.

وهذا يلزم المرأة الامتثال للخلق النبوي والكمال المحمدي والحياء الفاطمي والعزة العلوية فالمرأة التي تحيا بين أحضان العترة وتنمو بين دفتي الذكر الحكيم لحري بها أن لا يرى الرجال شخصها ولا يسمعوا همسها، أي: التعذر في معرفتهن وتشخيصهن وهو ما واجهه النسابون والمؤرخون حينما أرادوا الوقوف عند معرفة أسماء بنات أمير المؤمنين علي عليه السلام اللاتي أخرجهن معه الإمام الحسين عليه السلام معرفة قطعية، فما أكثر الاختلاف في تشخيص أي منهن كانت أم كلثوم، وهل هو كنية أو اسم، وهل هو لامرأة واحدة أو لأكثر، فضلاً عن اختلافهم فيمن تسمت منهن بزينب، فكان منهن الكبرى والصغرى والوسطى[1].

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج٣، ص٤٨٤.

ولذا:

كان إخراجهنّ إلى كربلاء من أعظم المصائب على الهاشميين، بل وعلى كل مسلم غيور على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف به على قلب الإمام الحسين عليه السلام، وهو العالم بنتيجة هذا الخروج وما سيجري عليه وعليهن في كربلاء.

ولذلك:

لم يجد محمد بن الحنفية[1]، بعد طول صراع بين ما يراه من إخراجهن وبين

(١) ترجم له السيد محسن الأمين في أعيانه بقوله: أبو القاسم، أو أبو عبد الله بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية هو من الطبقة الأولى من التابعين ولد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوفي سنة ٨١هـ في أيام عبد الملك بن مروان وعمره خمس وستون سنة واختلفوا في أي مكان توفي على ثلاثة أقوال: أحدهما بأيلة، والثاني بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بإذن ابنه أبي هاشم ودفن بالبقيع، والثالث بالطائف.

غلبت عليه النسبة إلى أمه خولة الحنفية من بني حنيفة وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ما حاصله: اختلف في امرها فقيل أنها سبية من سبايا حنيفة على يد خالد ابن الوليد أيام أبي بكر أقول وبذلك قد يحتج بعضهم على اعتراف أمير المؤمنين علي عليه السلام بصحة سبيها وفيه أن الحال في ذلك لا يمكن الجزم بها ولا دعوى العلم بأنه كيف تزوجها لجواز أن يكون عقد عليها مع أن المؤرخين مختلفون في أمرها كما سمعت وستسمع فكيف يمكن الاحتجاج بأمر مختلف فيه إذ متى وجد الاحتمال سقط الاستدلال على أن عمر نفسه لم يعترف بصحة سبي بني حنيفة وكان يطلب إلى الخليفة أن يقيم الحد على خالد قال: وقال قوم منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدايني هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا بعث عليا إلى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد وقد ارتدوا مع عمر بن معديكرب وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم فصارت في سهم علي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أن ولدت منك غلاما فسمه باسمي وكنه ←

بكنيتي»، فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمدا فكناه أبا القاسم قال وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر أن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة فباعوها من علي فقدم قومها عليه فأخبروه بموضعها منهم فأعتقها ومهرها وتزوجها، قال هذا القول اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بتاريخ الاشراف آه.

اخباره: كان محمد من فضلاء التابعين حتى ادعى قوم فيه الإمامة وهم الملقبون بالكيسانية وكان منهم السيد الحميري في أول امره وله في ذلك شعر معروف ويقال أن منهم كثير عزة الشاعر.

وكانت راية أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمل مع ابنه محمد قال ابن أبي الحديد دفع أمير المؤمنين يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه وقد استوت الصفوف وقال له: «احمل»، فوقف قليلا فقال له: «احمل»، فقال يا أمير المؤمنين أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر فدفع في صدره فقال: «أدركك عرق من أمك»، ثم اخذ الراية فهزها ثم قال: «اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد بالمشرفي والقنا المسدد»، ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة.

قيل لمحمد لم يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين؟ فقال إنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه ثم دفع علي الراية إلى محمد وقال: «امح الأولى بالأخرى وهذه الأنصار معك»، وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين في جمع من الأنصار كثير منهم من أهل بدر وحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسنا فقال خزيمة بن ثابت لعلي أما أنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه وأن كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال وقالت الأنصار يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين ع لما قدمنا على محمد أحدا من العرب فقال علي عليه السلام: «ابن النجم من الشمس والقمر أما أنه قد أغنى وله فضله ولا ينقصه فضل صاحبيه عليه وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه».

فقالوا يا أمير المؤمنين إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين ولا نظلمهما له ولا نظلمه لفضلهما عليه فقال علي عليه السلام: «أين يقع ابني من ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما في عودك اليوم وصمة ... ولا كنت في الحرب الضروس معردا

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله ... علي وسماك النبي محمدا

فلو كان حقا من أبيك خليفة ... لكان ولكن ذاك ما لا يرى بدا

علمه بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام من الدين وبين مبادرته بالسؤال عن العلة في هذا الخروج، قائلاً لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن وصله الخبر بخروجه من المدينة عند السحر من الليل، (فأتاه، فأخذ بزمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال عليه السلام:

«بلى».

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال عليه السلام:

«أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً».

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له:

«قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»)[1].

→

وأنت بحمد الله أطول غالب	لسانا وأنداها بما ملكت يدا
وأقربها من كل خير تريده	قريش وأوفاها بما قال موعدا
وأطعنهم صدر الكمي برمحه	وأكساهم للهام عضبا مهندا
سوى أخويك السيدين كلاهما	امام الورى والداعيان إلى الهدى
أبى الله أن يعطى عدوك مقعداً	من الأرض أو في اللوح مرقى ومصعدا

أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج٩، ص٤٣٥.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص٤١؛ المحتضر لحسن بن سليمان الحلي: ص٨٣؛ البحار: ج٤٤، ص٣٦٤.

ولعل حال ابن الحنفية بعد سماعه هذا الجواب كان أعظم من حيرته في معرفة خروجهن إلى العراق.

إلا أن ذلك لم يكن بمانعٍ عن التتبع والبحث عن وجود هؤلاء النسوة والأطفال الذين أخرجهم سبط رسول الله صلى الله عليه وله وسلم إلى العراق وذلك من خلال جملة من الشواهد والقرائن:

ألف: كقوله عليه السلام لأخيه العباس وولده علي عليهما السلام، لما سمعن خطبته فعلا صوتهن بالبكاء، واللفظ للطبري: (فلما سمع (أخواته) كلامه هذا صحن وبكين، وبكى (بناته) فارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس ابن علي وعليا ابنه، وقال لهما:

[وهذا يدل على أنهن كن مجموعة من بنات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما يدل على وجود أكثر من بنت من بنات الإمام الحسين عليه لسلام].

«أسكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن»[1].

باء: قول العقيلة زينب عليها السلام لما مروا بها على القتلى، صاحت:

(**«يا محمداه، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا...»**).

وهذا يدل على الكثرة سواء كن بنات علي عليه السلام أو بنات الحسين عليه السلام، فكلهنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المفجوع الأول وصاحب العزاء الأكبر، والمخصوص بهذه المصيبة العظيمة.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٢؛ مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي: ص١١٧.

المسألة الأولى: كم أخرج الإمام الحسين من أخواته إلى كربلاء؟

أولاً: عدد أخواته من أبيه اللاتي خرجن معه عليه السلام

إن إخراج الإمام الحسين عليه السلام لبعض أخواته كان قطعياً لا يرد إليه الظن، وذلك من خلال النصوص التاريخية الكثيرة التي دوّنت هذا الخروج لحرم الرسالة والنبوة، وهنّ كالآتي:

١ ـ السيدة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

تناول كثير من النصوص اسم أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام فيمن كنّ في معركة الطف، ولقد أورد لها المؤرخون وأصحاب المقاتل خطبة في الكوفة؛ قال ابن نما الحلي: (وخطبت أم كلثوم بنت علي من وراء كلة وقد غلب عليها البكاء...)[١].

ولقد اختلفوا كثيراً في تحديد هوية أم كلثوم هذه التي كانت في كربلاء، وذلك يعود إلى تسمّي أو تكنّي أربع من بنات أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاسم، فقد قال السيد محسن الأمين: (أم كلثوم زوجة مسلم بن عقيل[٢]، لعلها الوسطى، وأم كلثوم الصغرى، وأم كلثوم الكبرى زوجة عمر بن الخطاب التي تزوجها بعده عون بن جعفر ثم أخوه محمد، ثم أخوهما عبد الله بن جعفر.

وهناك زينب الصغرى المكناة أم كلثوم المنسوب إليها القبر الذي في قرية رواية شرقي دمشق فيمكن أن تكون هي زينب الصغرى، وتكون هي وأم كلثوم

(١) مثير الأحزان لابن نما: ص٦٨؛ البحار: ج٤٥، ص١١٢.

(٢) عمدة الطالب لابن عنبة: ص٣٢.

الصغرى واحدة، ويكون المكنيات بأم كلثوم ثلاثا، ويمكن أن تكون غيرها، فيمكن أربعا، فيكون لنا زينب الكبرى، وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، وأم كلثوم الكبرى، وأم كلثوم الصغرى، والأخيرة اسمها كنيتها أم كلثوم زوجة مسلم بن عقيل والله أعلم.

ثم أن أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام التي كانت مع أخيها الحسين عليه السلام بكربلاء، لا يُدرى أيهن هي فيمكن أن تكون هي زوجة مسلم بن عقيل فتكون قد خرجت مع أخيها الحسين عليه السلام، كما خرجت معه أختها زينب، وزوجها عبد الله بن جعفر حي بالمدينة، فخرجت معه هي وولداها عون وجعفر، وهذه كان قد خرج زوجها مسلم إلى الكوفة وخرج أولاده مع الحسين، ويمكن أن يكون فيهم من هو من أولادها فهي أحق بالخروج مع أخيها الحسين من كل امرأة، ويمكن أن تكون هي الصغرى ويمكن على بعد أن تكون الكبرى جاءت مع أخيها مع وجود زوجها)[١].

فيما أشار البري إلى أن أم كلثوم التي كانت مع أخيها هي ليست من أمه فاطمة عليها السلام[٢].

أقول:

فنحن نأخذ من هذه الأقوال التي ذكرها المؤرخون قولاً واحداً وعدّ هذه الشخصية شخصية واحدة دفعاً للإشكال في إثبات أيتهن كانت في كربلاء بشكل قطعي، ولعلهن كن جميعاً فبذلك تكون بنات أمير المؤمنين عليه السلام اللاتي

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج٣، ص٤٨٤.

(٢) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري: ص٤٥.

خرجن مع أخيهن الإمام الحسين عليه السلام واللاتي تسمين أو تكنين بـ(أم كلثوم) أربعاً، ولكن كما أسلفنا ودفعاً للاعتراض احتملنا أنها شخصية واحدة.

٢ـ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام

يعد أمر وجودها في ركب الإمام الحسين عليه السلم أمراً قطعياً، وذلك لما نصت عليه كتب التاريخ والحديث.

أما كتب التاريخ فقد ذكرت ما جرى بينها وبين الرجل الشامي حينما أمر الطاغية يزيد (لعنه الله) بإدخالهم إلى قصره؛ فقد روى الطبري عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي عليهما السلام قالت:

(لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رق لنا وأمر لنا بشيء وألطفنا[١].

قالت: ثم إن رجلا من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه يعنيني وكنت جارية وضيئة فأرعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم وأخذت بثياب أختي زينب. قالت: وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل وكانت تعلم أن ذلك لا يكون. فقالت:

«كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله».

فغضب يزيد فقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلت، قالت:

(١) لا شك ان هذه الرقة التي أظهرها الطاغية كان الهدف منها امتصاص غضب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ هذا من جانب ومن جانب آخر يريد الطاغية أن يظهر لمن حضر مجلسه من أعيان دمشق ورجال المملكة ان النساء والأطفال لا جناح عليهم الا ان هذا المكر افتضحه الله تعالى حينما نطق هذا الرجل الشامي مطالباً يزيد باتخاذ احدى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جارية مملوكة له حالها حال من يقوم المسلمون بسبيها؛ بل ان الحالة التي كانت عليها بنات الرسالة تنطق بانهن سبايا، ولذا طلبها الرجل الشامي.

«كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا».

قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب:

«بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك».

قال: كذبت يا عدوة الله قالت:

«أنت أمير مسلط تشتم ظالما وتقهر بسلطانك».

قالت: فو الله لكأنه استحيا فسكت)[١].

فضلاً عن كونها متزوجة من أبي سعيد بن عقيل[٢] فولدت له: حميدة.

وقد روت عن أبيها فقال: قال أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أعتق نسمة مسلمة أو مؤمنة وقى الله بكل عضو منها عضواً منه من النار»[٣].

ولقد أمد الله في عمرها فقال ابن حجر: توفيت سنة مائة وسبع عشر وقد تجاوزت الثمانين[٤].

وروى عنها الإمام الباقر عليه السلام فقال:

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٥٣؛ الأمالي للصدوق: ص٢٣١.

(٢) البحار للمجلسي: ج٤٢، ص٩٤؛ المجدي في أنساب الطالبيين للعلوي: ص١٨؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١٢، ص٣٩٣؛ تهذيب الكمال للمزي: ج٣٥، ص٢٦١؛ الطبقات لابن سعد: ج٨، ص٤٦٦.

(٣) الطبقات لابن سعد: ج٨، ص٤٦٦.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر: ج٢، ص٦٥٤.

«إن فاطمة بنت علي بن أبي طالب لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي ابن الحسين بنفسه من الدأب بالعبادة أتت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري، فقالت له:

يا صاحب رسول الله، إن لنا عليكم حقوقا، ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهادا أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين، قد انخرم أنفه، وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه دأبا منه لنفسه في العبادة».

فأتى جابر بن عبد الله باب علي بن الحسين عليهما السلام، وبالباب أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام في أغيلمة من بني هاشم قد اجتمعوا هناك، فنظر جابر إليه مقبلا، فقال: هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسجيته، فمن أنت يا غلام؟ قال: فقال:

«أنا محمد بن علي بن الحسين».

فبكى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ثم قال: أنت والله الباقر عن العلم حقا، أدن مني بأبي أنت وأمي، فدنا منه فحل جابر أزراره ووضع يده في صدره فقبله، وجعل عليه خده ووجهه، وقال له: أقرئك عن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله السلام، وقد أمرني أن أفعل بك ما فعلت، وقال لي:

«يوشك أن تعيش وتبقى حتى تلقى من ولدي من اسمه محمد يبقر العلم بقرا».

وقال لي:

«إنك تبقى حتى تعمى ثم يكشف لك عن بصرك».

ثم قال لي: ائذن لي على أبيك، فدخل أبو جعفر على أبيه فأخبره الخبر،

وقال:

«إن شيخا بالباب، وقد فعل بي كيت وكيت».

فقال عليه السلام:

«يا بني ذلك جابر بن عبد الله».

ثم قال: أمن بين ولدان أهلك قال لك ما قال وفعل بك ما فعل؟ قال: نعم إنا لله، إنه لم يقصدك فيه بسوء، ولقد أشاط بدمك.

ثم أذن لجابر، فدخل عليه فوجده في محرابه، قد أنضته العبادة، فنهض علي عليه السلام فسأله عن حاله سؤالا حفيا، ثم أجلسه بجنبه، فأقبل جابر عليه يقول: يا بن رسول الله، أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ قال له علي ابن الحسين عليهما السلام:

«يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له، وتعبد ـ بأبي هو وأمي ـ حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: أفلا أكون عبدا شكورا».

فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين عليهما السلام وليس يغني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يا بن رسول الله، البقيا على نفسك، فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف اللاواء، وبهم تستمطر السماء.

فقال:

«يا جابر، لا أزال على منهاج أبوي مؤتسيا بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما؟».

فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما أرى في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، والله لذرية علي بن الحسين عليهما السلام أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)[١].

٣ـ السيدة رقية بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

ذكر ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥هـ) وأبو الفرج الأصفهاني اسمها في ترجمته لعبد الله بن مسلم بن عقيل[٢]، وهو خلاف المشهور في كونها زوجة لمسلم بن عقيل، ولعلها كانت مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام، فاشتبه على الرواة بينها وبين أختها زينب الصغرى.

ولعل هناك غيرهن في ركب الإمام الحسين عليه السلام إذ عدم ذكر أسماء بعضهن لا يعني عدم وجودهن.

٤ـ خديجة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

ومما يدل على وجودها في كربلاء وإنها خرجت مع أخيها الحسين عليه السلام هو أنها كانت متزوجة من عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب[٣]، الذي

---

(١) الأمالي للطوسي: ص٦٣٦ ـ ٦٣٧.

(٢) كتاب المحبر لابن حبيب: ص٥٦؛ مقاتل الطالبيين: ص٦٣؛ شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج٣، ص١٩٥؛ البحار للمجلسي: ج٤٢، ص٩٣.

(٣) المحبر لابن حبيب البغدادي: ص٥٦؛ أنساب الأشراف للبلاذري: ص١٩٤.

خرج مع سيد الشهداء وكان ممن استشهدوا يوم عاشوراء قتله عمر بن خالد بن أسد الجهني (لعنه الله)[١].

٥ ـ رقية الصغرى بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام

ذكر ابن حبيب البغدادي أنها كانت متزوجة من محمد بن عقيل بن أبي طالب[٢].

ومما يدل على إخراجها إلى كربلاء استشهاد ولدها جعفر بن محمد بن عقيل في حمل آل أبي طالب يوم عاشوراء[٣].

٦ ـ أم هانئ بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

ذكر ابن حبيب أنها كانت عند عبد الله بن عقيل بن أبي طالب[٤]، ولقد ذكر ابن شهر آشوب أنه كان ممن استشهدوا يوم الطف مع الإمام الحسين عليه السلام[٥]، وهذا يدل على وجودها مع زوجها وأخيها في كربلاء.

٧ ـ أم الحسن بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

ذكر البلاذري وابن حبيب وغيرهما أنها كانت عند جعدة بن هبيرة

(١) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ص٦١؛ إبصار العين للسماوي: ص٩٢؛ أنصار الحسين لشمس الدين: ص١٥١؛ الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١٠٧.

(٢) المحبر لابن حبيب: ص٥٦.

(٣) المناقب لابن شهر: ج٣، ص٢٥٩؛ مقاتل الطالبيين: ص٦٢؛ مقتل الخوارزمي: ج٢، ص٤٧؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج٢، ص٢٠٨.

(٤) المحبر: ص٥٦.

(٥) المناقب لابن شهر: ج٣، ص٢٥٩؛ أنصار الحسين لشمس الدين: ص١٣٤.

المخزومي، ثم تزوجها جعفر بن عقيل بن أبي طالب عليهما السلام[١]، الذي استشهد يوم الطف، مما يدل على وجودها معه[٢].

٨ ـ رملة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

ذكر ابن حبيب البغدادي[٣]، وعلي بن محمد العلوي وغيرهما: أنها كانت متزوجة من عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

وذكر الشيخ المفيد والشاهرودي أن عبد الله بن أبي سفيان كان من شهداء الطف[٤]، مما يرجح وجودها في كربلاء ومشاركتها أخواتها تلك المصائب والرزايا التي حلت ببنات الرسالة.

وقد اشتهر عبد الله بن أبي سفيان بأشعاره الولائية لعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فضلاً عن حضوره في معارك أمير المؤمنين وجهاده بين يديه عليه السلام.

وهو القائل:

وكان ولي الأمر بعد محمد ... علي وفي كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقا وجاره ... وأول من صلى ومن لان جانبه[٥]

وغير خفي على المتتبع ما لعبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

(١) أنساب الأشراف: ص١٩٣؛ المحبر: ص٥٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤١؛ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج٥، ص٥٠.

(٣) المحبر: ص٥٦؛ المناقب لابن شهر: ج٣، ص٩٠؛ المجدي في أنساب الطالبيين: ص١٨.

(٤) الدرجات الرفيعة: ص١٨٩؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج٤، ص٤٧٠.

(٥) الفصول المختارة للشريف المرتضى: ص٢٦٩.

من مواقف يزأر فيها بالحق ويعلن فيها عن حقيقة جهاده وتصديه للظالمين حتى ختم هذه السيرة الجهادية بالشهادة في ساحة الطف يوم عاشوراء لنصرة سيد الشهداء عليه السلام.

حتى باتت تلك المواقف شواهد للأحرار والثائرين على الطغاة ومنهلاً للباحثين عن حقيقة تلك الرموز.

ومنها ما أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فقال:

(بلغ عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أن عمرو بن العاص يعيب بني هاشم ويقع فيهم وينتقصهم وكان يكنى أبا الهياج فغضب لذلك وزور كلاما يلقى به عمرا ثم قدم على معاوية ليس أكثر سفره إلا ليشتم عمرو بن العاص فدخل على معاوية مرارا لم يتفق له ما يريد ثم دخل عليه يوما وعنده عمرو فجاء الإذن فقال: هذا عبد الله بن جعفر قد قدم وهو بالباب، قال ائذن له فقال عمرو: يا أمير المؤمنين لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتمني والطربات للتغني صدوف عن السنان محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه ظاهر الطيش ليس العيش أخاذ للسلف صفاق للشرف فقال عبد الله بن أبي سفيان كذبت يا عمرو وأنت أهله ليس هو كما وصفت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وعن الخنا زجور سيد كريم ماجد صميم جواد حليم إن ابتدأ أصاب وإن سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فاحش غياب كذلك قضى الله في الكتاب فهو كالليث الضرغام الجريء المقدام في الحسب القمقام ليس بدعي ولا دني كمن اختصم فيه من قريش شرارها فعلت عليه حرارها فأصبح ينوء بالذليل ويأوي فيها إلى القليل

مذبذب بين حيين كالساقط بين المهدين لا المعتري إليهم قبلوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعري بأي حسب بنازل للنصال أم بأي قديم يعرض للرجال أبنفسك فأنت الجبان الوغد الزنيم أم بمن تنتمي إليه فأهل السفه والطيش والدناءة في قريش لا يشرف في الجاهلية شهر ولا تقديم في الإسلام ذكر غير أنك تنطق بغير لسانك وتنهض بغير أركانك وأيم الله إن كان لأسهل للوعث وألم للشعث أن يكمعك معاوية عن ولوغك بأعراض قريش كعام الضبع في وجارها فإنك لست لها بكفي ولا لأعراضها بوفي.

قال فتهيأ عمرو للجواب فقال له معاوية نشدتك الله أبا عبد الله أما كففت فقال عمرو يا أمير المؤمنين دعني أنتصر فإنه لم يدع شيئا فقال معاوية أما في مجلسك هذا فدع الانتصار وعليك بالاصطبار)[١].

٩ـ زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب عليه السلام

أمها أم ولد وقد ذهب كثير من المؤرخين والنسابة إلى أنها كانت متزوجة من محمد بن عقيل بن أبي طالب[٢]، مما يشير إلى أن رقية الصغرى التي مرّ ذكرها قد تكون هي نفسها زينب الصغرى إلا أن البلاط الأموي غير غافل عن تلك الشخصية ومن ثم فاحتمال كونهما شخصيتين احتمال قوي.

وقد ولدت السيدة زينب الصغرى لمحمد بن عقيل من الأبناء: عبد الله، والقاسم، وجعفر، وحميدة، ولقد مضى عبد الله وأخوه جعفر شهداء في يوم

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٢٩، ص٧٤ ـ ٧٥؛ الغدير للعلامة الأميني: ج٢، ص١٢٥.

(٢) عمدة الطالب لابن عنبة: ص٣٢؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج٥، ص٢٥٤؛ تاريخ دمشق: ج٣٢، ص٣٥٧؛ تهذيب الكمال: ج١٦؛ ص٧٨.

عاشوراء، مما يدل على وجودها مع ولديها[١].

فهؤلاء تسع من بنات علي أمير المؤمنين عليه السلام قد خرجن مع أخيهن الإمام الحسين عليه السلام، فمنهن من قدمت زوجها شهيداً في الطف، ومنهن من قدمت أبناً أو أبنين فضلاً عن افتجاعها بأخيها الإمام الحسين وبقية أخوانها.

وعليه:

فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد فجع في يوم الطف بما لم يفجع به وصي من الأوصياء فضلاً عن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أجمعين أنفسهم فليس فيهم من قد أصيب بكل هذا العدد من الأبناء والأحفاد وهتك الحرمات في القتل والسلب والنهب والحرق والضرب والسوق وتسفير النسوة باديات الوجوه مكشوفات الرؤوس وكأنهن من الترك والعجم أو أهل الذمة ــ فإنا لله وإنا إليه راجعون ــ.

ثانيا: عدد شقيقاته اللاتي خرجن معه إلى كربلاء

أجمع المؤرخون والمحدثون الذين تناولوا فاجعة كربلاء واستشهاد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن عقيلة بني هاشم السيدة زينب الكبرى بنت فاطمة وعلي أمير المؤمنين عليهما السلام كانت فيمن أخرجهن الإمام الحسين عليه السلام من أخواته إلى كربلاء، بل إن وجودها كان كوجود أخيها في رتبة واحدة فمن شك في ذلك الخروج شك في خروجه عليه السلام واستشهاده.

(١) مستدركات علم رجال الحديث: ج٥، ص٢٥٤.

ثالثا: العلة في اختصاص العقيلة زينب عليها السلام بهذه المصائب دون غيرها من بنات علي أمير المؤمنين عليه السلام

لعل القارئ والمتتبع لهذا البحث يرد على ذهنه سؤال مفاده: ما هي العلة في اختصاص العقيلة زينب عليها السلام بهذه المصائب حتى كادت أن تكون هي الوحيدة التي أصيبت من بين أخواتها العشر، أو لعل القارئ لواقعة الطف وسيرة سيد الشهداء عليه السلام يرتكز في ذهنه بأن العقيلة زينب عليها السلام هي الوحيدة التي أخرجها الإمام الحسين عليه السلام معه إلى كربلاء.

فما هي العلة التي جعلت هذا المعنى يرتكز في ذهن القارئ لفاجعة الطف؟

وأقول: إن ذلك يعود لجملة من الأسباب:

١ ـ إن العقيلة زينب الكبرى هي أكبر أخواتها سناً فقد ولدت في السنة السادسة للهجرة النبوية في المدينة النبوية[١]، ومن ثم فهي أكبرهنّ جميعاً.

٢ ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أوكل إليها أمر العيال وحفظهم وهذه واحدة من خصائصها عليها السلام.

٣ ـ إنها برتبة من الفهم والعلم ما جعلها المؤهلة لتحمل تلك الخطوب العظيمة والرزايا الجسيمة التي تندك من حملها الجبال.

ولقد نص على ذلك قول حجة الله تعالى الإمام زين العابدين عليه السلام لها:

«أنت بحمده عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة».

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٤، ص٣١٦.

٤ ـ إنها الوحيدة من بين بنات أمير المؤمنين عليه السلام كانت أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومما يدل عليه:

ألف: إن أختها أم كلثوم التي أشارت المصادر إلى وجودها في كربلاء وتناولت خطبتها في الكوفة لم يقطع المؤرخون أو النسابة أو غيرهم من الباحثين نسبة انتسابها لفاطمة عليها السلام.

نعم هناك من الروايات ما تدل على وجود هذه الشخصية، أي: أم كلثوم بنت علي عليه السلام لكن لم يجزم أحد بأنها ابنة فاطمة عليها الصلاة والسلام.

باء: ذهاب كثير من المحدثين والباحثين إلى أن أم كلثوم بنت فاطمة صلوات الله عليها قد توفيت في المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان وقد شيعها الحسن والحسين عليهما السلام مما يرجح عدم وجودها في الطف وأن أم كلثوم التي خرجت إلى كربلاء هي إحدى بنات علي عليه السلام وأمها أم ولد ــ كما سيمر بيانه ــ.

بمعنى: إن المقصودة في هذه الحرب هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن لم يكن مع السلف في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، فهو اليوم يهجم على ابنتها، ومن فاته سلب فاطمة في المدينة فقد سلب ابنتها في كربلاء.

ولذلك: نجدها ـ بأبي وأمي ـ لما قام عبيد الله بن زياد بإدخال عيال الحسين عليه السلام إلى قصر الإمارة في الكوفة (دخلت زينب العقيلة في جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى دخلت ناحية من القصر، وحفت بها إماؤها،

فقال ابن زياد:

من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها:

هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم فقالت: زينب عليها السلام:

«الحمد الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وطهرنا من الرجس تطهيرا، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله»)[١].

إذن:

لكونها ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحيدة في كربلاء كما صرح بذلك إماؤها توجه إليها عدو الله ورسوله بهذا الكلام، ولكونها ابنة رسول الله توجه يزيد إلى ضرب شفتي ريحانة رسول الله بالقضيب كي يحرق قلبها، وقلب أمها فاطمة، وقلب جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقلب أبيها علي أمير المؤمنين.

بقي أن أقول:

إن التفاف النساء والأطفال حولها، واهتمام سيد الشهداء بها، وحرصه الشديد عليها، وتفاني العباس وأخوته في صونها، وتسابق الأنصار للذود عنها، إنما لكونها ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها البقية

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١١٦.

الباقية من فاطمة فهي الوحيدة التي كان وجودها هو وجود قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروحه التي بين جنبيه ومَنْ مِنَ المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحرص على إحراز رضا فاطمة واجتناب غضبها، فسلام على زينب العقيلة يوم ولدت ويوم رزيت وفجعت وسبيت، ويوم ماتت ويوم تبعث حية لتشكو إلى ربها وجدّها ما نزل بها.

فلتلك الخصوصية وغيرها ارتكز في ذهن كل متتبع لمأساة كربلاء أنّ العقيلة زينب عليها السلام، كأنها هي الوحيدة التي كانت من بنات أمير المؤمنين عليه السلام في يوم عاشوراء.

المسألة الثانية: أزواج الإمام الحسين عليه السلام وبناته اللاتي خرجْنَ معه إلى العراق

بعد أن تبين من خلال المسألة الأولى أن عدد بنات أمير المؤمنين عليه السلام اللاتي خرجن مع أخيهن الإمام الحسين عليه السلام كُنَّ عشر أخوات، فلنأتِ الآن إلى معرفة أزواج الإمام الحسين وبناته وأولاده الذين خرجوا معه إلى كربلاء.

أولا: عدد أزواجه عليه السلام، ومن خرجت منهنّ معه عليه السلام

١- ليلى بنت أبي مرة

وهي ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وتكنى (أم شيبة)[١].

(١) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ص٥٢.

وقد ولدت للإمام الحسين عليه السلام ولده علياً الأكبر الشهيد في كربلاء عليه السلام[١].

وقد اختلف المؤرخون فيما بينه وبين الإمام علي زين العابدين عليه السلام أيهما الأكبر، فذهب قوم إلى أنه أصغر من أخيه الإمام زين العابدين عليه السلام[٢]، الذي منعه المرض من الجهاد بين يدي أبيه يوم عاشوراء وكان معه أيضا ولده الإمام محمد الباقر وكان له من العمر سنتان[٣].

في حين ذهب أبناء العامة: إلى أن المقتول في كربلاء هو أكبر ولد الإمام الحسين عليه السلام وإن علياً زين العابدين أصغر منه[٤].

ألف: اختلاف النصوص في أيهما كان بكر الإمام الحسين عليه السلام

إن الاختلاف بين المؤرخين في تحديد أي العليين أكبر يعود إلى اختلاف النصوص الواردة في ذلك، فقد ورد عن الإمام زين العابدين ما يشير إلى أنه كان أصغر من أخيه الشهيد في كربلاء حينما (سأله عبيد الله بن زياد (لعنه الله): ما اسمك؟ قال:

«**علي بن الحسين**».

(١) مقاتل الطالبيين للأصفهاني: ص٥٢.

(٢) دلائل الإمامة للطبري (الشيعي): ص١٨١؛ المناقب لابن شهر: ج٣، ص٣٠٩؛ الاستغاثة للكوفي: ج١، ص٧، ترجمة المؤلف.

(٣) شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج٣، ص١٥٣.

(٤) الإصابة لابن حجر: ج٣، ص٤١٢؛ البداية والنهاية: ج٩، ص١٠٣؛ الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٥٤؛ لوائح الأنوار للشعراني: ج١، ص٢٣؛ المعارف لابن قتيبة: ص٩٣؛ الكامل لابن الأثير: ج٤، ص٣٠؛ الروض الأنف للسهيلي: ج٢، ص٣٢٦؛ تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٦٠.

قال: ألم يقتل الله علياً؟ قال:

«**كان لي أخ يقال له علي، أكبر مني قتله الناس**»)[١].

في حين أخرج الشيخ الطوسي في غيبته عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«**لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك، فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين عليه السلام**».[٢]

وهذه الرواية تنفي أن يكون علي الأكبر الشهيد في كربلاء أكبر من الإمام زين العابدين عليه السلام.

وعليه: يبقى الخلاف قائماً بين الباحثين في إثبات أيهما الأكبر على الرغم من أن ذلك لا يقدم في شأنية كل منهما سوى كون أحدهما بكر سيد الشهداء عليه السلام.

باء: الإختلاف في وجود ليلى بنت مرة في كربلاء

لقد ذهب بعض المتأخرين كالمحدث الشيخ عباس القمي (طيب الله ثراه) إلى خلاف ما عليه السيرة الحسينية في مختلف البلاد الإسلامية التي تقام فيها ذكرى عاشوراء والتي تتناول وجود أم علي الأكبر عليه السلام في كربلاء ودعاءها لولدها حينما خرج إليه بكر بن غانم ليقاتله فدخلت حينها ودعت له فرد الله لها

(١) التمهيد لابن عبد البر: ج٩، ص١٥٦؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٥، ص٢١٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٤١، ص٣٦٧؛ المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص١١٩؛ شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج٢٨، ص١٩٠.

(٢) إكسير العبادات للدربندي: ج٢، ص٦٤١.

علياً الأكبر في هذه الجولة من القتال[1].

ولقد بيّن الشيخ عباس القمي السبب في هذا الرأي فقال: (لم أظفر بشيء يدل على مجيء ليلى إلى كربلاء)[2].

أقول: إن عدم الظفر بشيء يدل على وجودها في كربلاء لا يدفع بالباحث إلى القطع بعدم وجودها أصلاً بل لا يرقى ذلك حتى إلى الاحتمال مع وجود مجموعة من القرائن التي تدل على وجودها.

١ـ إن إهمال التاريخ لذكرها في كربلاء لا يعني عدم وجودها، فقد أهمل التاريخ جوانب مهمة من حياة سيد المرسلين بلغت ثلاث عشرة سنة وهي من سنة مبعثه إلى هجرته، فقد اختصر لنا الرواة هذه السنين بصفحات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، التي ملأوها بسيرة بعض المسلمين وكيف أسلموا وتغافلوا عن جهاد رسول الله وبني هاشم ومن آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من العبيد والمستضعفين وجهاد أم المؤمنين خديجة عليها السلام في شعب أبي طالب وغيره، في حين نجد المؤرخين قد أجادوا في ذكر مجالس قريش وأنديتها ومآثر رجالاتها فضلاً عن شغفهم بأشعارها.

٢ـ ليس التاريخ ـ وعلى فرضية أنه منصف ـ بتلك الدقة بحيث يسجل كل شاردة وواردة في حياة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي المقابل كان على رأس الحكم معاوية بن أبي سفيان وإعلامه المعادي وحصاره المضروب على أبناء علي عليه السلام.

---

(١) إكسير العبادات للدربندي: ج٢، ص٦٤١.

(٢) نفس المهموم للشيخ عباس القمي: ص١٦٧؛ إكسير العبادات للدربندي: ج٢، ص٦٤١، (الهامش).

٣ـ لا يوجد مانع من إخراجها إلى العراق وكما يقال: إرتفاع المانع ووجود المقتضي، أي: إن مقتضيات خروجها متحققة وليس الموانع، فمن هذه المقتضيات:

ألف: خروج زوجها والمرأة تتبع زوجها في انتقاله لاسيما قد أخرج غيرها من أزواجه كالرباب.

باء: خروج ولدها علي الأكبر مما يزيد في تعلقها في الخروج، فلا زوجها بقي ولا ولدها، ومن ثم: لا يطيب لها مقام بغيرهما.

جيم: كونها متزوجة من إمام مفترض الطاعة تسقط ولايتها على نفسها فضلاً عن الولاية الزوجية.

٤ـ قد أخرج الإمام الحسين عليه السلام من هي أعظم حرمة وأكبر شأنا وهي العقيلة زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: لا يوجد مانع من خروجها بل المانع في بقائها مع هذه المقتضيات في الخروج.

٢ـ الرباب بنت امرئ القيس بن عدي من أهل الشام

روى ابن حجر إنّ امرئ القيس بن عدي كان رجلاً نصرانياً قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب فلما دخل عليه (حياه بتحية الخلافة، فقال من أنت؟

قال: امرئ نصراني وأنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فلم يعرفه عمر.

فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية، قال: فما تريد؟

قال: أريد الإسلام، فعرضه عليه فقبله، ودعا له برمح فعقد له على من أسلم من قضاعة، فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه.

قال عوف ما رأيت رجلاً لم يصلِّ صلاة أمر على جماعة من المسلمين قبله، قال: ونهض علي وإبناه حتى أدركه فقال له:

«أنا علي بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذان ابناي من ابنته، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا».

قال: قد أنكحتك يا علي الحياة ابنة امرئ القيس؛ وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس)[١].

وقد ولدت الرباب للإمام الحسين عليه السلام سكينة، وعبد الله الرضيع، الذي استشهد في يوم الطف[٢]، وكان اسم سكينة أميمة[٣]، وسكينة لقب؛ وفي الرباب وسكينة يقول الإمام الحسين عليه السلام:

لعمرك إنني لأحب داراً	تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالي	وليس لعاتب عندي عتاب[٤]
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً	حياتي أو يغيبني التراب[٥]

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج١، ص٣٥٥، برقم (٤٨٧)؛ الغارات للثقفي: ج٢، ص٨١٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١٢٠.

(٢) المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص٢٢٥؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج٨، ص٥٧٤؛ قاموس الرجال للتستري: ج١٢، ص٢٥٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٦٩، ص١٢٠.

(٤) الإصابة لابن جر: ج١، ص٣٥٥؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٦٩، ص١٢٠.

(٥) المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص٢٥.

ولقد عُرفت الرباب بنت امرئ القيس بوفائها للإمام الحسين عليه السلام وعظم صبرها على فقده وفقد ولدها الرضيع الذي ذبح من الوريد إلى الوريد؛ حتى سجل موقفها وصبرها أعظم الصور الإنسانية التي لم تزل تلهم الشعراء والكتاب والأحرار دروساً في التضحية والثبات من أجل المبدأ.

وقد روى التاريخ عن حالها بعد رجوعها إلى المدينة من مأساة الطف، إنها لم تستظل بظل بل بعثت خلف البنّاء وطلبت منه أن يقلع سقف الدار وجلست لا تستظل بظل، لا في صيف أو شتاء حتى ماتت بعد سنة من استشهاد حجة الله الإمام الحسين عليه السلام(١).

ولقد حاول كثير من الرجال خطبتها فقابلتهم بالرفض فلما ألحوا عليها قالت:

(ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(٢).

وكانت ترثي الحسين عليه السلام فتقول:

إن الذي كان نورا يستضاء به	بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به	وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يغني ويأوي إليه كل مسكين(٣)

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٦٩، ص٣٩٧؛ الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٨؛ الأعلام للزركلي: ج٣، ص١٤.

(٢) كتاب المحبر لابن حبيب البغدادي: ص٣٩٧؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٦٩، ص١٢٠؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٨.

(٣) الوافي للوفيات للصفدي: ج١٤، ص٥٣.

والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرحل والطين[1]

وهذا كله يدل بشكل قطعي على وجودها في كربلاء يوم عاشوراء فتكون بذلك ثاني زوجة لسيد الشهداء عليه السلام فيمن أخرجهن معه إلى العراق.

٣ ـ أم إسحاق بنت طلحة

كانت أم إسحاق قبل أن يتزوجها الإمام الحسين عند أخيه الإمام الحسن عليه السلام فلما حضرته الوفاة أوصى أخاه الإمام الحسين أن يتزوجها، وقد ولدت له فاطمة وعبد الله[2].

إذن:

يكون عدد أزواجه ثلاثاً وهن: ليلى الثقفية، والرباب بنت امرئ القيس، وأم إسحاق.

أما شاه زنان فهي أم الإمام زين العابدين عليه السلام وهي فارسية وتكون بنت شرويه بن كسرى ملك الفرس إلا أنها لم تكن حاضرة في يوم عاشوراء، وذلك لأنها توفيت في أثناء ولادتها للإمام زين العابدين عليه السلام.

أما كيف تزوج بها الإمام الحسين عليه السلام فقد قيل: إن حريث بن جابر الحنفي حينما ولاه الإمام علي عليه السلام خراسان بعث إليه ببنتي يزدجر، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الثانية

---

(١) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٢٧، ص٥؛ أعيان الشيعة للأمين: ج٦، ص٤٤٩.

(٢) المنتخب من ذيل المذيل للطبري: ص٢٤؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص١٧.

محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر فهما إبنا خالة[١].

وقيل: (لما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيدا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أكرموا كريم كل قوم».

فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم، فقال له أمير المؤمنين:

«هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلام ورغبوا في الإسلام ولا بد أن يكون لهم فيهم ذرية وأنا أشهد الله وأشهدكم أني قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله تعالى».

فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقنا أيضا لك، فقال:

«اللهم اشهد أني قد أعتقت ما وهبوا لي لوجه الله».

فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقنا لك يا أخا رسول الله، فقال:

«اللهم اشهد أنهم قد وهبوا لي حقهم وقبلته، وأشهدك أني قد أعتقتهم لوجهك».

فقال عمر: لم نقضت علي عزمي في الأعاجم وما الذي رغبك عن رأيي فيهم؟

فأعاد عليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في إكرام الكرماء، فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصني وسائر ما لم يوهب لك، فقال أمير المؤمنين:

---

(١) الإرشاد للمفيد رحمه الله: ج٢، ص١٣٧.

«اللهم اشهد على ما قالوه وعلى عتقي إياهم».

فرغب جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء فقال أمير المؤمنين:

«هن لا يكرهن على ذلك ولكن يخيرن، ما اخترنه عمل به».

فأشار جماعة إلى شهربانويه بنت كسرى فخيرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور فقيل لها: من تختارين من خطابك؟ وهل أنت ممن تريدين بعلا؟

فسكتت، فقال أمير المؤمنين:

«قد أرادت وبقي الاختيار».

فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين:

«إن رسول الله كان إذا أتته كريمة قوم لا ولي لها وقد خطبت يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل؟ فإن استحيت وسكتت جعلت أذنها صماتها وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا، لم يكره على ما تختاره، وإن شهربانويه أريت الخطاب فأومأت بيدها واختارت الحسين بن علي عليهما السلام».

فأعيد القول عليها في التخيير فأشارت بيدها وقالت: هذا، إن كنت مخيرة، وجعلت أمير المؤمنين وليها وتكلم حذيفة بالخطبة، فقال أمير المؤمنين:

«ما اسمك؟».

فقالت: شاه زنان بنت كسرى، قال أمير المؤمنين:

«أنت شهربانويه وأختك مرواريد بنت كسرى؟».

قالت: آريه)[1].

---

(١) الغارات للثقفي: ج٢، ص٨٢٦؛ دلائل الإمامة للطبري (الشيعي) ص١٩٦.

ثانيا: عدد بناته اللاتي أخرجهن إلى العراق

لم تتفق المصادر التاريخية على رأي واحد في تحديد العدد الذي ينص على بنات الإمام الحسين عليه السلام اللاتي أخرجهن معه إلى العراق، ولذا: فنحن نستتبع كل إشارة تشير إلى واحدة منهن وأنها فجعت بأبيها وأخوتها يوم الطف.

١- السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام

تناول كثير من المصادر التاريخية والحديثية السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام فبين كونها ممن حضر وبين كونها قد روت عن أبيها وجدها بعض الأحاديث الشريفة.

إلا أننا هنا بصدد وجودها في كربلاء؛ والذي يبدو أن السبب في التركيز عليها دون أخواتها هو لعلاقتها المتميزة بأبيها لاسيما وأنه عليه السلام قد أشار إلى ذلك الحب الأبوي في شعره الذي خصها وأمها الرباب فيه وقد مرّ سابقا.

فضلاً عن ذلك: فقد ذكرت المصادر ما دار بينها وبين أبيها الإمام الحسين عليه السلام في الوداع الأخير له صلوات الله وسلامه عليه قبل خروجه للقتال والاستشهاد. فقد روى ابن شهر آشوب والقندوزي:

(ثم ودع النساء وكانت سكينة تصيح فضمها إلى صدره وقال:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي	منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة	ما دام مني الروح في جثماني
وإذا قتلت فأنت أولى بالذي	تأتينه يا خيرة النسوان[١]

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٥٧؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص٨٠؛ شرح إحقاق الحق: ج١١، ص٦٣٤.

٢ ـ فاطمة الكبرى بنت الحسين عليه السلام

فاطمة الكبرى وهي غير فاطمة العليلة التي أودعها الإمام الحسين عند أم سلمة حينما خرج إلى العراق.

إذ أشارت بعض المصادر إلى وجودها في كربلاء، وهي كالآتي:

١ ـ روى السيد ابن طاووس في نزول الإمام الحسين أرض كربلاء، فجلس يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل

من طالب وصاحب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

وكل حي سالك سبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل

قال الراوي: فسمعت زينب بنت فاطمة عليها السلام ذلك، فقالت:

«**يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل**».

فقال:

«**نعم يا أختاه**».

فقالت زينب:

«**وا ثكلاه ينعى الحسين إليَّ نفسه**».

قال: وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم تنادي: وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا أخاه، واحسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله.

قيل فعزاها الحسين وقال لها:

«يا أختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان السماوات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون».

ثم قال:

«يا أختاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، أنظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيبا ولا تخمشن عليّ وجها، ولا تقلن هجرا»)[١].

وهنا تنص الرواية على ذكرها فيما بين الأسماء التي توجه إليها الإمام عليه السلام بوصيته.

٢ ـ أخرج الصفار عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن حسينا عليه السلام لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة ووصية باطنة وكان علي بن الحسين مبطونا لا يرون إلا أنه لما به فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار ذلك إلينا فقلت فما في ذلك فقال فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا»[٢].

٣ ـ فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام

أخرج لها الطبري في الاحتجاج خطبة في الكوفة وأوردها باسم (فاطمة الصغرى) ولعلها غير فاطمة بنت الحسين عليه السلام التي تزوجت الحسن المثنى ابن الحسن السبط المجتبى عليه السلام، ولعل فاطمة الصغرى هي نفسها السيدة

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٠؛ لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص١٠٣.

(٢) بصائر الدرجات للصفار: ص١٨٣؛ الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ص٦٤.

رقية وإن رقية هو لقبها من الرقة كما هو حال أختها سكينة فقد ورد أن اسمها أميمة أو أمينة وإن سكينة لقبها[(١)].

أما خطبتها لأهل الكوفة فقد أخرجها الطبرسي عن زيد بن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام، قال: خطبت (فاطمة الصغرى عليها السلام) بعد أن ردت من كربلاء فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد: أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي ابن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، وبها معشر مسلمة بألسنتهم، تعسا لرؤوسهم!

ما دفعت عنه ضيما في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيب الضريبة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيرا، وحمدت مناقبه كبيرا، ولم يزل ناصحا لك ولرسولك صلى الله عليه وآله صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك، زاهدا في الدنيا غير حريص عليها، راغبا في الآخرة مجاهدا لك في سبيلك، رضيته فاخترته، وهديته إلى طريق مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنا، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته في الأرض

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٥٩ ؛ تاريخ ابن عساكر: ج٦٩، ص٢٠٥.

في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه صلى الله عليه وآله على كثير من خلقه تفضيلا، فكذبتمونا، وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالا، وأموالنا نهبا، كأنا أولاد الترك أو كابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قرت بذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم، اجتراءً منكم على الله، ومكرا مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور.

تبا لكم! فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حل بكم، وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم ويذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين، ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم، أو أية نفس نزعت إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا، تبغون محاربتنا؟ قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسول لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبا لكم يا أهل الكوفة! كم تراث لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم، وذحوله لديكم، ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي، وبنيه عترة النبي الطيبين الأخيار.

وافتخر بذلك مفتخر فقال: (نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح، وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح).

فقالت: بفيك أيها القائل الكثكث، ولك الأثلب، افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم، وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقعَ كما أقعى أبوك، وإنما لكل امرئ ما قدمت يداه، حسدتمونا ويلا لكم على ما فضلنا الله.

فما ذنبنا إنْ جاش دهر بحورنا ... وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[١].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٢].

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: حسبك يا بنت الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا.

فسكتت عليها وعلى أبيها وجدها السلام)[٣].

ونجد هنا أن زيد بن موسى بن جعفر قد نص على كونها (الصغرى) مما يدل على وجود أخت لها سميت بـ(فاطمة الكبرى) تفريقا بينهما كما هو حال عمتها زينب فلوجود غيرها من أخواتها من قد تسمت بهذا الإسلام فقد سميت غيرها بزينب الصغرى أو كحال أخويها علي الأكبر وعلي زين العابدين عليه السلام.

فضلاً عن رواية أبي الجارود التي تدل بوضوح على أن أكبر بناته عليه السلام كانت فاطمة ولعل كونها أكبرهن لقبت بالكبرى تفريقا بينها وبين فاطمة الصغرى التي خطبت بأهل الكوفة.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٧ ـ ٢٩؛ اللهوف للسيد ابن طاووس: ص٨٩؛ البحار للمجلسي: ج٤٥، ص١١٠.

٤ـ رقية بنت الحسين عليه السلام

وهي صاحبة المصيبة العظيمة التي تلازمت مع مصائب الرأس الشريف، فماتت عنده، لما ألمَّ بها من المصاب في خربة الشام حيث ضريحها الآن شامخٌ يحاكي أفئدة الأحرار ويخاطب عقول المفكرين أن ههنا تكمن الحياة حينما يكون الدفاع عن المقدسات بأنامل لا تجد غير اللعب لها مؤنساً.

والسيدة رقية عليها السلام على اشتهار مصابها بين المسلمين وشموخ ضريحها الذي يؤرخ لفاجعة أهل البيت في الشام إلا أن البعض لم يزل يبحث عن مصدر من مصادر المسلمين يلتمس فيه ما يدفع الشك عنه بأنّها بنت للإمام الحسين عليه السلام.

وكأن بني أمية حريصون على إثبات ذلك في تواريخ المسلمين كي يجد الباحث عن مصيبة رقية موضعاً يرتشف منه تلك المأساة العظيمة.

ألا يكفي لبعض الباحثين ثبوت خروج الإمام الحسين عليه السلام بعياله من المدينة إلى مكة ثم العراق؟!!

أوَلا يكفيهم ما جرى يوم الطف من المصائب، والخطوب، والمذابح، والقهر، والإرهاب، كي يلتمس ما يثبت نسبة هذه المظلومية إلى سجل إرهاب بني أمية؟!!

أما بخصوص ورود اسمها في المصادر الإسلامية:

فقد روى القندوزي، والإسفراييني، والحائري والسيد المرعشي وغيرهم واللفظ للقندوزي:

(**«ثم نادى: يا أم كلثوم، ويا سكينة، ويا رقية، ويا عاتكة، ويا زينب، يا أهل بيتي عليكن مني السلام...»**)[1].

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص٨٠؛ معالي السبطين للحائري: ج٢، ص٢٢؛ نور العين في مشهد ←

فهذا النص الذي رواه جملة من العلماء يدل بوضوح على وجودها في كربلاء ولعله، أي هذا النص، يجد طريقه إلى ذوي الشكوك فيدفع عنهم شكهم ويريحهم من هذا الهم، الذي لم يبدده كل حجر وركن في ضريحها الصارخ بالمأساة في خربة الشام. نعم في خربة الشام وليس في الصين أو المكسيك!!

٥ ـ عاتكة بنت الحسين عليه السلام

وقد نص على ذكرها القندوزي في الرواية السابقة التي أوردناها آنفا وبذلك يكون عدد بنات الإمام الحسين عليه السلام اللاتي أخرجهن معه إلى كربلاء (خمس بنات).

المسألة الثالثة: نساء الأنصار

لم يكن معسكر الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء قد اقتصر على بنات علي أمير المؤمنين عليه السلام وبنات الإمام الحسين عليه السلام تتقدمهن العقيلة زينب بنت فاطمة الزهراء عليهما السلام بل قد ضم كذلك بعض نساء الأنصار إلا أن الفارق بينهن وبين بنات النبوة هو أن كثيراً منهن لم يرد لهن ذكر في كتب التاريخ أو المقاتل، ولذلك فقد أصبح من المتعذر حصر عددهن الحقيقي كما يتعذر معرفة عدد أبنائهن إلا أن هذا لا يمنع من إيراد أسماء من ظهر لهن موقف مميز في يوم عاشوراء ولذا نود أن نورد بعض هذه المواقف تيمناً للبحث، كي نقدم صورة واضحة عن تلك الآثار التي حققتها تلك النخبة من النسوة لاسيما بنات

الحسين: ص٥٨؛ أدب الحسين وحماسته: ص٤٥؛ إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج١١، ص٦٣٣؛ أدب الحسين عليه السلام: ص٤٥؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٩٠.

النبوة والرسالة والتي يتضح من خلالها الحكمة في إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله إلى كربلاء وهو ما سنختتم به الدراسة ضمن المبحث الآتي:

١ـ أم وهب

(سيدة من النمر بن قاسط، زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، من بني عليم، أخبر زوجته أم وهب بعزمه على المسير إلى الحسين عليه السلام، فقالت له: (أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، إفعل وأخرجني معك)، فخرج بها ليلا حتى أتى حسينا، فأقام معه.

ولما شارك زوجها في القتال وقتل رجلين من جند عمر بن سعد (أخذت أم وهب امرأته عمودا، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: (فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد)، فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثم قال: (إني لن أدعك دون أن أموت معك) فناداها حسين، فقال:

«**جزيتم من أهل بيت خيرا، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال، فانصرفت إليهن**».

وخرجت إلى زوجها بعد أن استشهد حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: (هنيئا لك الجنة)، فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم: (أضرب رأسها بالعمود)، فضرب رأسها فشدخه، فماتت مكانها)[1].

والنص التاريخي يدل بوضوح على حجب المرأة عن القتال وإن كانت في دار الحرب، على الرغم من قلة الناصر وتعرض سيد شباب أهل الجنة إلى القتل هو وعياله.

---

(١) أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين: ص٧٦، برقم ٤ـ أم وهب.

إلا أننا نلمس في حركة أم وهب الجهادية في يوم عاشوراء الروح العقائدية والتوطين على بذل النفس في نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحرص على نيل الشهادة وإن كانت غير مكلفة شرعا بالقتال في ساحة المعركة؛ ولذا فقد رزقها الله تعالى الشهادة وأن تختم حياتها برفقة زوجها لتكون معه في منزل واحد في الآخرة.

٢ ـ أم عمرو بن جنادة الأنصاري

وهذه المرأة قدمت يوم عاشوراء صورة جديدة من صور حضور المرأة في ساحة القتال قلما نجد له نظيراً إن لم تكن قد تفردت بها وذلك أن عاطفة الأمومة، بما تفرضه على المرأة من قوى سايكلوجية وفايسلوجية لتجعلها أسيرة إلى ولدها دون أن تدرك أنها مغلوبة على أمرها بواسطة هذه الغريزة، أي الأمومة.

ولذا: قد يعتاد الناظر إلى تشابه الصور الأمومية عندما تفجع الأم بولدها فتكون بين الويل والصراخ واحتضان هذا الفقيد العزيز الذي لا يعوض بشيء فهي الثكلى، ومن ثكلت انشغلت في حين وقوع مصابها بما بين يديها من الألم والمصاب.

أما أن نشهد أن الأم تحمل رأس ولدها فتمسح الدم والتراب عنه ثم تلثمه تقبيلا وشما لينتهي بها المقام إلى حمل رأس ولدها فتضرب العدو فتقتله من شدة الرمية وقوة الضربة فهذا محصور بيوم عاشوراء فقط.

ولذلك: تبقى المرأة في كربلاء تحمل من الخصوصيات والصور الجديدة الحاكية عن ثقافة المودة للعترة النبوية ما لم يشهدها المسلمون بل لم تشهدها الإنسانية جمعاء.

أما هذه الصورة الجديدة لأم عمرو بن جنادة الأنصاري فكانت كالآتي:

قال أصحاب المقاتل: (وجاء عمرو بن جنادة الأنصاري بعد أن قتل أبوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال:

«هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك».

قال الغلام: إن أمي أمرتني فأذن له فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين فأخذته أمه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات، وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

إنـــي عجـــوز في النـــسا ضـــعيفة　　　خـاويـــــــة باليـــــــة نحيفـــــــة

أضـــــربكم بـــــضربة عنيفـــــة　　　دون بـــــني فاطمـــــة الـــــشريفة

فردها الحسين عليه السلام إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين)[١].

٣ ـ أم عبد الله بن عمير الكلبي

وتحدث وقعة الطفوف عن أنموذج آخر للأمومة يحاكي في تقاسيمه ملحمة الفداء والتضحية والصمود التي بنت بها الأمم مجدها وحضارتها.

قال أصحاب المقاتل: (وحمل شمر في جماعة من أصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً وشد عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن بجير ساقه فأخذ أسيراً وقتل صبراً فمشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئا لك الجنة أسأل الله الذي رزقك

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٦٤.

الجنة أن يصحبني معك فقال الشمر لغلامه رستم أضرب رأسها بالعمود فشدخه فماتت، فهي أول امرأة قتلت.

فهذه بعض النماذج الفريدة كفرادة مأساة عاشوراء من نساء الأنصار اللاتي خرجن مع أزواجهن إلى كربلاء ولو أردنا أن نتتبّع هذه المشاهد لطال بنا المقال.

وهي تدل في الوقت نفسه على كثرة وجود العنصر النسوي في معركة الطف إلا أن حصر عددهن متعذر، وذلك لعدم تصريح الرواة بذلك، لاسيما فيما توفر لدينا من مصادر.

إلا أننا يمكن أن نستدل على أن عددهن كان كثيراً وذلك من خلال ما أشارت إليه رواية الشيخ المفيد رحمه الله وابن كثير وابن الأثير الجزري وتصف دخول العقيلة زينب إلى قصر الإمارة.

فقال: (ودخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفت بها إماؤها)[1].

وهذا اللفظ يدل بوضوح على كثرة العنصر النسوي، لاسيما من الإماء فإذا كانت العقيلة زينب ابنة فاطمة صلوات الله عليها تحف بها إماؤها فمن البديهي أن يكون لبنات أمير المؤمنين عليه السلام إماء، وكذا أزواج سيد شباب أهل الجنة عليه السلام ومن ثم يتعذر إحصاء عددهن.

ويبقى حينها السؤال الذي بدأنا به هذه الدراسة: ما هي العلة في إخراج الإمام الحسين عليه السلام للنساء والأطفال إلى كربلاء؛ وما هي الآثار التي ترتبت على وجود هؤلاء النسوة والأطفال في المعركة.

---

(١) الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١١٥؛ البداية والنهاية: ج٨، ص٢١٠؛ الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨١.



المبحث الخامس

علّة إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله وآثار ذلك في الأمة

المسألة الأولى: سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم صور ومشاهد

قبل المضي في بيان بعض الصور التاريخية والمشاهد الروائية عن كيفية سبي بنات النبوة ونساء الرسالة نود أن نشير إلى أن هؤلاء النسوة قد شاء الله تعالى حفظهنّ من القتل ومن التعرض لعفتهن على الرغم من تعدد أنواع الظلم والوحشية التي تعامل بها أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم معهن وذلك بدليل قول سيد الشهداء عليه السلام في وداعه لهن فقال:

«استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا ما ينقص من قدركم»[1].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩٠؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٩٢، نقلا عن الدمعة الساكبة: ج٤، ص٣٤٦؛ جلاء العيون للمجلسي: ص٥٧٦؛ ناسخ التواريخ: ص٢٩٠.

أولاً: سلب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بعد قتله

إن القارئ لصفحات التاريخ الإسلامي وهو يمر على أحداث سنة ٦١هـ ليجد نفسه مذهولاً لا يدري أمام تلك المشاهد التي جرت في كربلاء أهو أمام أرض إسلامية وأناس نطقوا بالشهادتين أم هو أمام قبيلة من قبائل الجن أو لعله يوهم نفسه أنه يقرأ لتاريخ قبائل الامزون وأكلة لحوم البشر الذين تجردوا من جميع القيم التي تربطهم ببني جلدتهم فأمسوا لا يعرفون سوى رؤية الدم وهو يصبغ الأديم ولا تأنس آذانهم إلا بآهات النساء الوالهات وصراخ الأطفال الوجلين.

بل لم يشأ القارئ أن يصدق أن هؤلاء القوم لم يكتفوا بممارسة جميع أنواع التعذيب والرعب حتى تصارعوا على سلب ثوب مخرّق.

ويكفي من هذه المشاهد ما رواه أصحاب المقاتل عن سلب سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام على يدي هؤلاء القوم الذين لم يؤمنوا بوجود الجنة طرفة عين منذ أن أبصرت عيونهم الدنيا، ولذا انقضوا على سيد شبابها بهذه الصورة التي يريدها التاريخ قائلا:

(وأقبل القوم على سلبه عليه السلام فأخذ إسحاق بن حوية قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعليه وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي ويقال رجل من بني تميم اسمه الأسود بن حنظلة.

وجاء بجدل فرأى الخاتم في إصبعه والدماء عليه فقطع إصبعه وأخذ الخاتم وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته، وكان يجلس عليها فسمي قيس قطيفة، وأخذ ثوبه الخلق جعونة بن حوية الحضرمي وأخذ القوس والحلل الرحيل بن خيمثة

الجعفي وهاني بن شبيب الحضرمي وجرجر بن مسعود الحضرمي وأراد رجل منهم أخذ تكة سرواله وكان لها قيمة، وذلك بعدما سلبه الناس يقول، أردت أن أنزع التكة فوضع يده اليمنى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعت يمينه! فوضع يده اليسرى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعتها وهممت بنزع السروال فسمعت زلزلة فخفت وتركته وغشي عليّ، وفي هذه الحال رأيت النبي وعلياً وفاطمة والحسن، وفاطمة تقول: يا بني قتلوك، قتلهم الله، فقال لها: يا أم قطع يدي هذا النائم فدعت عليّ وقالت: قطع الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك النار فذهب بصري وسقطت يداي ورجلاي فلم يبق من دعائها إلاّ النار)[1].

ثانيا: سلب بنات النبوة وسبيهن

قال أصحاب المقاتل:

(لما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام وأضرموا النار فيها وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات وإن المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من إصبعها وقرطها من أذنها والخلخال من رجلها، أخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخرم أذنها وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي قالت له: ما لك؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله قالت له: دعني، قال: أخاف أن يأخذه غيري.

ورأت رجلا يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

عليهن من أخمرة وأسورة ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما أفاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكي.

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله بهذه الحال فصاحت يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله لا حكم إلا لله يا لثارات رسول الله فردها زوجها إلى رحله.

وانتهى القوم إلى علي بن الحسين وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض فقائل يقول لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيرا وآخر يقول لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل الصبيان؟ إنما هو صبي مريض! فقال: إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين وبالغ ابن سعد في منعه خصوصاً لما سمع العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين تقول: لا يقتل حتى أقتل دونه فكفوا عنه.

وأقبل ابن سعد إلى النساء فلما رأينه بكين في وجهه! فمنع القوم عنهن وقد أخذوا ما عليهن ولم يردوا شيئا فوكل جماعة بحفظهن وعاد إلى خيمته.

وحائرات أطار القوم أعينها ... رعباً غداة عليها خدرها هجموا
كانت بحيث عليها قومها ضربت ... سرادقاً أرضه من عزهم حرم
يكاد من هيبة أن لا تطوف به ... حتى الملائك لولا أنهم خدم
فغودرت بين أيدي القوم حاسرة ... تسبى وليس لها من فيه تعتصم
نعم لوت جيدها بالعتب هاتفة ... بقومها وحشاها ملؤه ضرم
عجت بهم مذ على إبرادها اختلفت ... أيدي العدو ولكن من لها بهم[1]

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٣١٤ ـ ٣١٧.

ثالثا: أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام تصف سبي الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قالت عليها السلام حينما أدخلت السبايا إلى الكوفة وقد اجتمع الناس للنظر إليهن، فقالت: يا أهل الكوفة أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

رابعاً: فاطمة بنت الحسين عليه السلام تصف سبي الأعداء لبنات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

قالت في خطبتها بجمع أهل الكوفة:

(فكذبتمونا، وكفرتمونا، ورأيتم قتلنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قرت بذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم، إجتراءً منكم على الله، ومكرا مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة:

﴿فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢])[٣].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣٢٥.

(٢) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ و ٢٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٨.

خامساً: العقيلة زينب عليها السلام تصف سبي الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قالت عليها السلام وهي تخاطب يزيد بن معاوية في مجلسه:

(أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناقل، ويبرزن لأهل المناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والغائب والشاهد، والشهيد)[1].

سادساً: الإمام زين العابدين عليه السلام يصف سبي الأعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

قال عليه السلام في خطبته في مجلس يزيد:

«أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، أنا ابن من انتهكت حرمه، وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبي عياله....»[2].

سابعاً: كيف كانت حاله عليه السلام حينما أدخلوه وسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يزيد

قال ابن الأثير:

(ثم أمر بعلي بن الحسين عليه السلام فأدخل مغلولاً فقال:

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٥.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٥، ص١١٢ ـ ١١٣.

«لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغلولين لفك عنا».

قال يزيد: صدقت، وأمر بفك غله عنه)[١].

قال السيد المقرم:

وجيء بعلي بن الحسين على بعير ظالع الجامعة في عنقه ويداه مغلولتان إلى عنقه وأوداجه تشخب دماً فكان يقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم ... يا أمة لم تراع جدنا فينا

لو أننا ورسول الله يجمعنا ... يوم القيامة ما كنتم تقولونا؟

تسيّرونا على الأقتاب عارية ... كأننا لم نشيّد فيكم دينا![٢]

ولعل تتبع هذه المشاهد يخرجنا عن البحث إذ عُني بها أصحاب المقاتل؛ إلا أن في ذكرنا كفاية للبيب كي يدرك ماذا جرى على بنات الرسالة وأهل بيت النبوة.

بقي أن نضع بين يدي القارئ الآثار التي نتجت عن إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله إلى كربلاء ليوقن أن الله تعالى قد اصطفى لشرعه عباداً مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وليوقن أيضاً أن عاشوراء هي ثمرة الرسالات منذ آدم وإلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٦.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٣٣٢ ـ ٣٣٣، خطبة السجاد عليه السلام.

المسألة الثانية: آثار إخراج النساء إلى كربلاء في الإسلام والمسلمين

ليس من السهل على الباحث الوقوف بشكل دقيق ـ ليكون مطابقاً لعين الواقع ـ على الحكمة التي اقتضتها مشيئة الله تعالى في إخراج عيال حجة الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض المعركة التي كانت نتائجها العسكرية قطعية عند الإمام الحسين عليه السلام وهي استشهاده مع جميع أبنائه وأبناء عمومته وأصحابه ومن ثم سبي هؤلاء النسوة.

وعليه: أصبح أمر الوقوف على هذه الحكمة أقرب إلى المستحيل لاسيما ونحن نتعامل مع أدق القضايا الغيبية التي ارتبطت بدين الإسلام هذا الدين الذي أحيطت به خصائص خاصة جعلته الدين الذي ارتضاه الله لرسله وأنبيائه.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

وهو خير دين أخرج للناس.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2].

من هنا:

نلمس بعمق أن هذه القضية، أي عاشوراء، هي من أدق القضايا الغيبية المرتبطة بالله تعالى وبرسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أننا نستطيع أن ندور في فلك هذه القضية ونقترب من نواتها الحكمية مرة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

أو نبعد مرة أخرى، وذلك بحسب الآثار التي حققتها هذه المسألة، أي خروج النساء والأطفال، مستعينين بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحب هذه الرزية الإمام الحسين عليه السلام وبما يفتحه علينا من باب لطفه وعطائه وهو المأمور بالضيافة والإجارة وهو الذي أعطاه ربه سبحانه ما فاق عطاءه لسليمان إذ قال له ربه:

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[1].

فمن جودك سيدي أبا عبد الله نلتمس العطاء.

﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٍ﴾[2].

ثم لا غنى لنا في حياتنا ومماتنا عن كتاب الله تعالى نستعين به على معرفة بعض هذه الآثار التي حققها هذا الخروج والاصطحاب للنساء والأطفال، فضلاً عن الوقائع والأحداث التي تجلّى فيها هذا الأثر أو ذاك في خروج هؤلاء النسوة.

الأثر الأول: اصطفاء الذرية للدفاع عن الشريعة، وشاهده القرآني

إنّ أول هذه الآثار التي حققها وجود النساء والأطفال في كربلاء والتي من خلالها تظهر بعض جوانب الحكمة في إخراجهن إلى أرض الطفوف هو: أن الإمام الحسين عليه السلام أراد بيان حقيقة مفادها: أنه امتداد للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وأن الله تعالى جعل فيه من السنن ما جعل في أنبيائه من إشراك ذريتهم في الاصطفاء لحفظ شريعة الله تعالى، وقد تجلى هذا الأثر جلياً حينما خرج علي

(١) سورة ص، الآية: ٣٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٥.

الأكبر عليه السلام فقد أرخى الإمام الحسين عليه السلام عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد: ما لك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليك من يذبحك على فراشك ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

«اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه، اللهم فامنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قددا، ولا ترضِ الولاة عنه أبداً فإنهم دعونا ينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا ثم تلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وعليه: فقد احتج عليه السلام بكتاب الله تعالى وبيّن لهم أنه وولده امتداد للأنبياء عليهم السلام فضلاً عن اصطفائهم على العالمين وأنهم ذرية بعضها من بعض ومن ثم فهم بذلك يكونون قد اعتدوا على جميع الأنبياء وأجرموا في حقهم وانتهكوا حرماتهم.

الأثر الثاني: هواية القلوب للذرية، وشاهده القرآني

يعرض القرآن الكريم شاهداً آخر من فلسفة وجود عنصري المرأة والأطفال في حياة الأنبياء، ودفاعهم عن شريعة الله حتى يكاد القرآن لا يجعل فاصلة بين تضحية الأنبياء بأنفسهم عن تضحيتهم بنسائهم وأبنائهم في حفظ الشريعة كما

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

حصل لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام حينما أخرج زوجته وولده الرضيع نبي الله إسماعيل إلى وادٍ غير ذي زرع يحف بهم الخطر من كل جانب فضلاً عن فقدان ضروريات الحياة والبقاء كالماء والمأوى قال تعالى على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[١].

فهذه الآية المباركة تكشف جانباً من الحكمة في إخراج إبراهيم الخليل عليه السلام لعياله على قلة عددهم فيما لو قيسوا مع عيال الإمام الحسين عليه السلام فشتّان بين أن يكون المعصوم عليه السلام مأموراً من الله تعالى بحمل امرأة واحدة وولد واحد كإبراهيم الخليل عليه السلام الذي خرج بزوجته هاجر وولدها الرضيع نبي الله إسماعيل عليه السلام، وإخراجهم من بيت المقدس إلى أرض مكة عند بيت الله الحرام، وبين إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعشر من أخواته وخمس من بناته وأزواجه الثلاث فهؤلاء ثماني عشرة امرأة بين فتاة في الرابعة من عمرها وبين عقيلة في السادسة والخمسين فضلاً عن مجموعة من الإماء اللاتي خرجن مع عقائل النبوة وبنات الوحي، ومن لحق بهن من نساء أصحاب الإمام الحسين عليه السلام اللاتي توقفت معاناة السبي لديهن في الكوفة حينما جاءت كل قبيلة فأخرجت نساءها من بين قافلة الهاشميات.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

وعليه:

تظهر الآية المباركة التي تتحدث عن إخراج إبراهيم الخليل لذريته وإيداعهم في أرض قاحلة جانباً من الحكمة في هذا الخروج الذي ورثه ولده الحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي تلازم معه في الدلالة والأثر مع الفارق في المصائب والخطوب والرزايا التي ألمت بابن إبراهيم الحسين عليه السلام وبين ولده إسماعيل.

فعلى الرغم من توحد المصداق في فداء بيت الله الحرام بين نبي الله إسماعيل وحجة الله الحسين عليه السلام إلا أن المذبوح هو الحسين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمفدى هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لا عن تفاوت في الشأنية بين رياضة الحبيب وولد الخليل وإنما لعظم البلاء الذي لا يتحمله قلب إبراهيم ورقّ له قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الممدوح بالذكر الحكيم:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[١].

وأما الأثر في هذا الخروج الإبراهيمي والحسيني فهو إقامة الصلاة.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٢].

وحينما كانت الغاية إقامة الصلاة بدلالتها البنائية لا الأدائية كانت الهواية القلبية مقرونة بالذرية وهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل المسلم اللبيب لا يحتاج دليلاً أو بياناً لمعرفة الشخص الذي تهوي إليه

---

(١) سورة النجم، ألآية: ١١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

الأفئدة أهو إسماعيل بن هاجر أم الحسين بن فاطمة عليهم السلام.

أم تراه لا يجد التشخيص بين رضيع إبراهيم المسقي بماء زمزم أم رضيع الحسين المسقي من دم الوريد فهذا الخروج لعيال الحسين كذا الخروج لعيال إبراهيم لكنما الأفئدة تهوي لآل الطفوف.

الأثر الثالث: إن الحسين وعياله خير أمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وشاهده القرآني

لعل المرء يتوقف متأملاً في هذا الأثر الذي حققه إخراج الحسين عليه السلام لعياله إلى أرض المعركة، ألا وهو كونهم من أهم الأدوات التي عملت على إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طول الدهر.

إذ يقتصر دور المرأة غالباً في الاهتمام بشؤون الأسرة وإن سنح لها المجال ببعض الوقت وهي في خضم تلك المسؤوليات أن تمارس هذا الدور في الأسرة من خلال تنشئة أبنائها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي لا يتعدى في هذه الحال عن مجموعة من الأوامر والنواهي والمرغبات والمحذرات عن القيام ببعض الأعمال أو ترك بعض الأفعال للأبناء دون أن تلفظ المرأة هذه المفردات وأعني (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في مسامع أبنائها.

والعلة في ذاك محصورة بين رؤية الأم أو الأب لتصرفات الأبناء ضمن نطاق الحسن والقبيح ومدلولاتهما التربوية والأخلاقية.

لكننا هنا: في ارض الطف نلمس نوعا جديداً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يظهر في المجتمع الإسلامي الذي أصبح فيه المسلم يرى المنكر معروفا

والمعروف منكراً، ذلك المجتمع الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حاله حينما توجه إلى أصحابه قائلاً:

«كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر».

فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال:

«نعم، وشر من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف».

فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال:

«نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[١].

وعليه:

لزم أن تكون هناك أدوات فاعلة ومؤثرة تحيي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصحح الأذهان في تشخيصها للمعروف والمنكر فتأمر بالأول وتنهي عن الثاني.

ولذا: نجد أن سيد الشهداء عليه السلام حينما خرج بعياله قد أشركهم في الهدف من هذا الخروج وأدخلهم في الغاية من تحركه فقال عليه السلام:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٢].

فكانوا مصداق قوله تعالى:

---

(١) الكافي للكليني: ج٥، ص٥٩، ح١٤؛ المعجم الأوسط للطبراني: ج٢٠، ص١٧٢، ح١١٣٨١.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٤، ص٣٢٩.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

ولعل الباحث أو القارئ حينما يستعرض تاريخ الأمم ومسيرة الأديان لا يجد أمة كالحسين وعياله قد خرجت وأُخرجت للناس، قد قدمت أرواحها ودماءها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالكيفية التي جرت في عاشوراء وبالصورة التي شهدتها كربلاء.

وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾[٢]، فكيف لا يكون الحسين وعياله عليهم السلام أمة.

الأثر الرابع: الأثر التصديقي؛ وشاهده القرآني

إنّ من السنن التي يعرضها القرآن الكريم في نهج الأنبياء عليهم السلام منهج الدفاع عن صدق دعوتهم، وبيان ذلك إلى الناس، فكان من خلال تقديم النساء والأطفال في إلقاء الحجة على من لم يؤمن بهم، فضلاً عن المكذبين لهم؛ وهذا ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة المباهلة حينما كذبه النصارى في دعواه بالنبوة حينما خاطبه الباري عزّ وجل:

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٣].

وقد نص كثير من كتب التفسير والتاريخ، كتفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير الثعلبي، وتفسير العلامة الطباطبائي، ومجمع البيان، وتفسير البغوي،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٠.

والنسفي، والفخر الرازي وغيرها: على أن الأثر الذي تركه إخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه ممثلاً ذلك في بضعته النبوية فاطمة عليها السلام وذريته ممثلا بولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام على النصارى في تصديقهم بدعواه للنبوة وأنه خاتم الأنبياء ما لم يكن تحقيقه في المعجزة.

إذ قد يفسر هؤلاء المعترضون والمشككون فيما لو جاءهم صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة من المعاجز بأنها ضرب من السحر كما حصل ذلك لموسى الكليم عليه السلام حينما سجد له السحرة فقال فرعون عند ذلك:

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾[1].

ولذلك لم يأتهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة ولو شاء لأمده الله تعالى بما لا طاقة لهم به، إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم وجد أن إخراجه ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين عليهم السلام، هو أمض أثراً وأشد تصديقاً لهم بدعوته ورسالته.

فضلاً عن إشراكهم في الدفاع عن رسالته ونبوته، وذلك بقوله لهم:

«إن أنا دعوت فأمنوا».

فكان ذلك بمسمع ومرأى من النصارى والصحابة الذين وقفوا ينظرون هذا الخروج المهيب، فما كان من النصارى ورهبانهم وقادتهم إلا أن قالوا: (إن خرج عليكم محمد بأصحابه فباهلوهم وإن خرج عليكم بأهله فلا تباهلوهم)[2]، وذلك

---

(١) سورة طه، الآية: ٧١.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢١، ص٢٧٨.

إن الإنسان لا يعرض أبناءه ونساءه ونفسه للهلاك ما لم يكن يوقن بأنه وأبناءه ونساءه لله رب العالمين.

وعليه: فإن إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله من أخواته وبناته وأبنائه حتى الرضيع منهم وإشراكهم في أمره كان اتباعاً لسنة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والتزاماً بالمنهج القرآني في الدعوة إلى التصديق بما خصه الله تعالى به، وهو الإمامة، وإنه حجة الله على خلقه، فكان الأثر الذي أوجده خروج النساء والأطفال في التصديق به كما كان في خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة وولديها وزوجها للمباهلة.

فانعكس ذلك على أصحابه وبني عمومته وأعدائه في يوم عاشوراء وانعكس ذلك على الإنسانية جمعاء بعد استشهاده لتتهاوى أمامه العروش وترقى به النفوس وتحنو إليه القلوب بأنه صادق ومصدّق لما أتى به جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقائد للصادقين والمصدّقين برسول رب العالمين.

الأثر الخامس: الأثر العسكري

ولعل الأثر العسكري لوجود عيال الحسين عليه السلام المكون من بنات النبوة وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أكثر الآثار وضوحاً لاسيما وقد مر علينا من خلال المباحث السابقة أن العرب كانت تستفيد من وجود المرأة في المعركة في استنهاض الهمم وبث روح الشجاعة والتضحية من أجل صون الحرم.

ويمكن لنا الوقوف عند هذا الأثر العسكري من خلال بعض المشاهد التي ظهرت بسبب هذا التواجد للنساء والأطفال:

ألف: إظهار حمية الأنصار لدرجة الاستئناس بالموت

إن أولى الآثار العسكرية التي خلقتها بنات النبوة في تواجدهن في أرض كربلاء والمشتملة في الروح العقائدية للمقاتل الذي صحب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظهرت بأروع صورها في ليلة العاشر من المحرم وقبل النزول إلى ساحة الوغى وملاقاة الحتوف بالصدور والوجوه والأعناق.

وذلك حينما جاءت عقيلة الطالبيين وسليلة سيد المرسلين إلى أخيها الإمام الحسين عليه السلام وقد مد لها الهم القاتل حبائله وأحاط بها الوجل بمخالبه تجر أذيالها إلى فناء خيمته لتسأله عن أولئك الفرسان الذين صحبوه وتستعلم نواياهم التي استنهضتهم للالتحاق به، وعقيدتهم التي سيقاتلون بها لاسيما وإن لهذا الخوف مبرراً ولهذا القلق مسبباً ألا وهو خذلان الناس لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة والغدر بأخيه الحسن عليه السلام في العراق، فكيف لا تقلق اليوم على من بقي لها من أهلها والجيوش قد سدّت الأفق من حوله؟!

فقالت له:

«هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة».

فقال لها:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه».

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة قلت: إني

خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن فقام حبيب ونادى يا أصحاب الحمية وليوث الكريهة فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية فقال لبني هاشم ارجعوا إلى مقركم لا سهرت عيونكم.

ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع فقالوا بأجمعهم والله الذي منّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة! فطب نفساً وقرّ عيناً فجزاهم خيراً.

وقالوا هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا ألا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم)[١].

ولذا: فقد سجل هذا التحرك بأحرف من نور تنير درب الأحرار وتعطي الرجال في صونهم للمقدسات روحاً قتالية وعقيدة صلبة تندك لها الجبال الرواسي على كرور الليالي والأيام، فكم من حر أبي يستلهم موقف حبيب بن مظاهر أو زهير ابن القين أو مسلم بن عوسجة أو غيرهم كي ينحو نحوهم في الدفاع عن الإسلام.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ نفس المهموم: ص١٢٥، عن الصدوق.

باء: حث الرجال على القتال ومشاركتهم الجهاد

إن مظاهر حث الرجال على القتال في المعركة كان هو الغاية الأبرز من إخراج العرب للنساء في حروبهم كما مرّ بيانه في المباحث السابقة إلا أنه في يوم عاشوراء لم يكن كغيره من أيام العرب لا في الإسلام ولا قبله، فقد منع الإمام الحسين عليه السلام المرأة من الخروج للقتال ولولا هذا المنع لشهدنا صوراً من القتال والتضحية للمرأة لم تشهدها أمة من الأمم وذلك لما تحمله المرأة في يوم عاشوراء من روح إيمانية وعقيدة جهادية في الدفاع عن شريعة الله تعالى وذلك بحفظ حجة الله تعالى وصون حرمته القرآنية والمحمدية.

ولعل الاستشهاد بأم وهب وزوجته يغني الباحث عن السعي في معرفة هذا الأثر ويثري المتأمل في هذا الخروج عن اقتناء غيره من المشاهد، وما أكثرها في عاشوراء.

الأثر السادس: إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم

قد يبدو غريباً بعض الشيء هذا الأثر لدى بعض القراء الذي يرون أن عصر الصحابة والتابعين هو خير العصور التي تمر بها الأمة الإسلامية مما يحقق خلق بنية فكرية رصينة ومدعومة بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولئك النفر المخلصون الذين ساروا على هدى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما وأن الفاصلة الزمنية بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين فاجعة كربلاء خمسون سنة، وهي مدّة ليست بالطويلة كي تتمخض عنها مأساة الإسلام ويذبح ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتسبى بنات رسول الله وتساق كما تساق من لم تكن على دين الإسلام فضلاً عن حمل رأس ريحانة سيد الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين في البلاد الإسلامية ينظر إليه أولئك السلف (الصالح) وهم لا يحركون ساكنا ليقف الخلف متعجباً ولعل بعضهم مذهول مما حدث لأهل خير الأزمنة.

من هنا:

ليس من المستغرب أن يكون في المجتمع الإسلامي بنية فكرية تحتاج إلى الإصلاح بعد أن عملت على صبغ حياتها بدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي غير آبهة بما يؤول إليه هذا الحدث من نتائج لا تنتهي آثارها إلى يوم الوعد الموعود.

ولذا:

كان إخراج الحسين عياله يعد أدوات جراحية عملت على استئصال الأمراض التي أصابت فكر المسلم فكونت له بنية فكرية عليلة تستسيغ قتل ابن بنت نبيها وتعذر القاتل فيما فعل.

وهو ما عرف بالفكر الجبري الذي ظهر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة وإن كان بصورة غير معلنة، بل يُعد الخليفة أبو بكر هو أول من وضع الأساس للفكر الجبري حينما خاطب المسلمين بعد السقيفة، قائلاً:

«أما والله ما أنا بخيركم، وقد كنت لمقامي هذا كارها، ولوددت لو أن فيكم من يكفيني فتظنون أني أعمل فيكم سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا لا أقوم لها، ان رسول الله كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وان لي

شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أوثر في اشعاركم ولا ابشاركم، الا فراعوني! فان استقمت فأعينوني، ان زغت فقوموني»[1].

ثم تلاه بعد ذلك عمر وعثمان ومعاوية ليظهر بأوضح صوره في حكم يزيد بن معاوية كبنية فكرية وثقافية يتصرف حسب معطياتها المسلم، فقد تكون لديه مبدأ الجبر المرتكز على تبرئة ما يصدر من الخليفة أو الحاكم من أفعال بعلة أن الله تعالى هو الذي جعله في هذا الموقع وأنه غير مسدد من السماء وله شيطان يعتريه ومن ثم فهو معذور فيما يفعل.

من هنا:

يتضح لنا أهمية وجود عقيلة النبوة زينب بنت فاطمة عليهما السلام في كربلاء وذلك بتقويضها هذا الفكر الهدام وإصلاح البنية الفكرية للمسلمين بتقديم معطيات قرآنية ونبوية استطاعت أن تعيد للمسلم هويته الإسلامية الملتصقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

فنراها تقف كالجبل الشامخ في مجلس يزيد بن معاوية الذي سعى جاهداً على تثبيت هذا المعتقد في أذهان الناس حينما التفت إلى مجموعة من وجهاء أهل الشام فقال لهم:

أتدرون من أين أتى ابن فاطمة وما الحامل له على ما فعل والذي أوقعه فيما وقع؟ قالوا: لا، قال: يزعم أن أباه خير من أبي وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمي وجده خير من جدي وأنه خير مني وأحق بهذا الأمر مني فأما

(١) المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني: ج١١، ص٣٣٦، المعيار والموازنة لابي جعفر الاسكافي: ص٦١، الشافي في الامامة للشريف المرتضى: ج٤، ص١٢١.

قوله: أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه إلى الله عزّ وجل وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله: أمه خير من أمي فلعمري إن فاطمة بنت رسول الله خير من أمي، وأما قوله: جده خير من جدي فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى أن لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً، ولكنه إنما أُتي من قلة فقهه ولم يقرأ:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[2][3].

وكان الذي دفع يزيد بن معاوية إلى هذه المقولة هو افتضاح أمره حينما خاطبته العقيلة زينب عليها السلام:

«أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢١٣.

ولقد حرص كذلك ولاة بني أمية على بث هذا المعتقد في أذهان الناس لاسيما في الكوفة حينما خاطب عبيد الله بن زياد (لعنه الله تعالى) الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: ما اسمك؟.

قال:

«أنا علي بن الحسين».

فقال له: أو لم يقتل الله عليا؟

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«كان أخ لي أكبر مني يسمى علياً قتله الناس».

فرد عليه ابن زياد، بل قتله الله.

أي تثبيت المعتقد الجبري وأن الحاكم غير مذنب؛ لأن الله هو الذي قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان جواب الإمام السجاد عليه السلام كالصاعقة التي هدت أركان هذا الفكر المنحرف فقال:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾[1].

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[2].

فكبر على ابن زياد أن يرد عليه الإمام زين العابدين بهذا الجواب الذي قوض معتقده الفاسد ولذا أمر بقتله.

وعليه: نجد بوضوح تجلي هذا الأثر في خروج العيال إلى أرض الطف.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

الأثر السابع: تجلي مصداق التوحيد في حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع

إنّ بعض الآثار التي ظهرت كنتائج لوجود بنات الرسالة والأطفال في كربلاء كانت متمايزة في الظهور وذلك بحسب سعة دائرة تأثيرها ـ وعلى سبيل الإشارة ـ كالأثر الوجداني الذي سنتعرض لبيانه لاحقا فإنه قد شغل حيزاً كبيراً في النفس البشرية.

في حين نجد تجلي مصداق التوحيد في حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع ينحصر في النخبة الذين أخذوا على عاتقهم حمل رسالة الإسلام ونشره بين الناس ؛ أي أولئك الذين يبلغون رسالات الله تعالى.

فهؤلاء قد أخذت بهم المذاهب وعبثت بهم آراء الخلفاء وضاع الحديث حتى أصبح البعض منهم يرى بعض الأحاديث في معاوية قد ساوت بينه وبين جبرائيل وعلى لسان أحد أصحابه كأبي هريرة الذي قال:

(الأمناء ثلاثة، جبرائيل ومعاوية وأنا)[1].

فحينما يكون معاوية كجبرائيل عليه السلام وفي رقبته دماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كحجر بن عدي ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر الذي يكشف مقتله عن أن معاوية إمام الفئة الباغية كيف سيكون حال التوحيد عند المسلمين وكيف ستكون صلاتهم وزكاتهم وحجهم وغيرها من فروع دينهم؟!

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج٣، ص١٣٠. الكامل لابن عدي: ج٢، ص٢٤٥. ميزان الاعتدال: ج١، ص٥٠٣. البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص١٢٩.

فإذا كان التوحيد وهو أساس بعث الأنبياء وقيام الرسالات بهذا المستوى الذي أصبح قاتل الحسن بن علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وغيرهم كجبرائيل عليه السلام، فكيف سيكون التوحيد عند الناس؟!

من هنا:

نلمس أن حركة أهل البيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما كانت لغرض إقامة التوحيد فضلاً عن حروب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فلأجل التوحيد خرج علي عليه السلام لحرب الناكثين في معركة الجمل، ولأجل التوحيد خرج لقتال القاسطين في صفين ولأجل التوحيد خرج لقتال الخوارج في النهروان، فتلك الحروب التي غيرت مسار الرسالة المحمدية أخبر عنها رسول الله قائلاً:

عن جابر بن يزيد الجعفي (عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: سمعت عماراً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أنا أقاتل على التنزيل وعلي يقاتل على التأويل».

فقال علي عليه السلام:

«صدق عمار ورب الكعبة، إن هذه عندي لفي ألف كلمة، تتبع كل كلمة ألف كلمة»)[1].

ولا أعتقد أن هناك مسلماً يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقاتل لغير التوحيد ولا أعتقد أن هناك مسلماً يعتقد أن النبي قاتل غير المشركين.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ص٦٥٠، ص٤٨.

وعليه:

حينما يقرن النبي حركته الجهادية التوحيدية بالقرآن ويلازمها بحركة علي أمير المؤمنين عليه السلام الجهادية التوحيدية فكانت الأولى على التنزيل والثانية على التأويل، وأن كلا القتالين إنما كان ضمن حدود كتاب الله تعالى فإن الذين قاتلهم علي عليه السلام هم بنفس المستوى العقائدي لأولئك الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

كان صلح الإمام الحسن عليه السلام أو خروج الإمام الحسين عليه السلام بعياله وقتاله في كربلاء إنما لغرض التوحيد وإقامته في المجتمع المسلم ولولا ذلك لما بقي مسلم موحد ويكفي من الأدلة لمن بقي في نفسه شيء من عدم الاعتقاد بهذه الحقيقة أن ينظر إلى التاريخ ليرى أن الولاة الذين خدموا حكام بني أمية كانوا يدعون المسلمين إلى الطواف حول بيت عبد الملك بن مروان وهو خير لهم من الطواف حول قبر رسول الله!

وأن مقام عبد الملك عند الله خير من مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخليفة المرء خير من رسوله[1].

إذن:

لابد من صرخة تتصدع تحتها تلك الرواسب التي رانت على عقول أولئك الذين يرون أنهم يدعون إلى التوحيد وأن رموز التوحيد لديهم هم الخلفاء:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٥، ص٢٤٢. النصائح الكافية لابن عقيل: ص١٠٦.

كمعاوية، ويزيد، وعبد الملك، وهارون، والمأمون، وفلان وفلان.

فكانت هذه الصرخة من فم ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فم زينة أبيها العقيلة زينب عليها السلام، حينما بدا في منطقها التلازم بين مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد ليتجلى مصداق الوحدانية لله تعالى في حركتها الإصلاحية لتلك النفوس التي نسجت من حولها خيوط عناكب بني أمية حينما بث بين المسلمين أن الله تعالى هو الذي مكنهم من الجلوس في كرسي الحكم وهو الذي مكنهم من رقاب المسلمين ليدعوا الناس إلى التوحيد وكأن ليس هناك من موحد غيرهم.

بهذا الفكر الهدام وبهذه العقيدة الفاسدة يتوجه عبيد الله بن زياد الذي ارتضع من ثدي النفاق إلى ربيبة التوحيد وسليلة الطهر والنبوة زينب قائلاً لها:

«كيف رأيت صنع الله بأخيك وبأهل بيتك»؟[1].

ونلاحظ هنا بوضوح: كيف يعتقد ابن زياد بأنه الموكل بحفظ التوحيد فهو يعرف الله تعالى وأن الله سبحانه هو الذي صنع بأخيها الحسين ـ عليه السلام ـ وبأهل بيتها كل تلك المجازر من تقطيع الرؤوس وذبح الأطفال حتى الرضيع وسبي النساء وسحق جسد الحسين بحوافر الخيل والتمثيل بالأجساد وغيرها من الجرائم كل هذا يجعله ابن زياد من صنع الله تعالى.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

لكن السؤال المطروح إذا كان الله تعالى قد صنع ذلك فبمن فعله، صنعه؟

(١) كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥، ص١٢٢. اللهوف لابن طاووس: ص٩٤.

أليسوا هؤلاء أهل بيت حبيبه وسيد أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا يصنع بهم ذلك، ألانهم خرجوا لإقامة التوحيد له سبحانه وحفظ شريعته من ابن زياد ومعاوية ومن ولاه على رقاب المسلمين؟!

إذن:

المعركة معركة فكر، ومعركة توحيد: وما أشبه اليوم بالأمس! فما زال أتباع أهل البيت عليهم السلام يُفعل بهم ما فعله ابن زياد بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدعوة هي نفسها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟!!!

فكان جوابها أشد من سيوف الطالبيين وأمضى من ضربات الصالحين على تلك العقول المريضة لتستأصل بكلماتها تلك الأورام الخبيثة التي كادت أن تميت القلوب التي تستمع إليها.

فقالت صلوات الله وسلامه عليها:

«ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يابن مرجانة».

فهذه الكلمات التي لم تتجاوز السطرين هي في الحقيقة كالشطرين اللذين يمتاز بهما سيف علي بن أبي طالب عليه السلام، فكما أن تحت هذا السيف تجندل صناديد الشرك، كذاك تحت هذين السطرين انهارت صروح الطواغيت وأساطين النفاق، وذلك من خلال الأسس الإصلاحية الآتية:

١ـ تلازم مفهوم الجمال والتوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام

من المفاهيم التي تألقت في كلام العقيلة زينب عليها السلام هو مفهوم التوحيد؛ والتوحيد كعقيدة إيمانية ترافق حركة الإنسان منذ ولادته ـ وهي الفطرة ـ إلى وفاته، فقد تفاوت الناس في هذه الرتبة الإيمانية وتفاوتوا في مفهومهم للتوحيد؛ حتى ورد في الحديث النبوي الشريف عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قيل له: يا رسول الله لقد شوهد عيسى بن مريم عليه السلام يمشي على الماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لو زاد يقينه لمشى على الهواء**»[1].

وفي إبراهيم قال عزّ وجل:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[2].

ومن هنا:

نلمس أن مفهوم التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام يرقى إلى تلك الرتبة التي تحدث عنها القرآن الكريم والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فزينب الكبرى رأت بعين اليقين جمال الملكوت وأيقنت أن هذا الجمال والجلال لا يصدر إلا عن الجميل الذي أضفى من جماله على هذا الكون.

ثم إنها أيقنت أيضاً أن هذا الجميل لا يصدر عنه إلا كل شيء جميل فإن كتب الحياة أو القتل فهما سيان من الجمال وأن قدر الصحة أو المرض فهما في الجمال شيء واحد؛ وكذلك الفقر والغنى والشدة والرخاء؛ أو العسر واليسر

(١) مستدرك الوسائل للنوري: ج١١، ص١٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

فكله جميل وجماله ليس بلحاظ جوهر الشيء؛ إذ من البديهي أن العافية أرجى للعبد من المرض وكذلك الغنى والرخاء واليسر وطول العمر وغيرها من المطالب الحياتية فهي أرجى وأنعم لكل إنسان من حيث جوهرها.

ولكن العقيلة عليها السلام لا تنظر إلى جوهر هذه المطالب وإنما تنظر إلى صنع الله تعالى وما يختاره لعبده فإن هذا الاختيار جميل، وهذا التقدير جميل، فلا يصدر عن الله تعالى إلا الجمال.

ولذلك:

تساوى عندها عليها السلام الصحة والمرض، والغنى والفقر، والعسر واليسر.

وهنا ملاحظة:

قد يرقى كثير من المؤمنين إلى رتبة من التوحيد يتساوى عنده البلاء والرخاء، فيعدهما سيّين لأن محل صدورهما هو الله.

ولكن. أن يُرى هذا التقدير جميلا فيؤنس به كما يأنس الشارد الظامئ بواحة غناء، فيها عذب الماء.

فهذا مرهون بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام ولاسيما صاحبة العصمة الصغرى عقيلة حيدر عليها السلام.

ولذلك: تلازم عندها مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد، وهو ما دلّ عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لّما سئل عن معنى (إن الله جميل ويحب الجمال)؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحد صمد لم يلد ولم يولد».

وقد أردف الفخر الرازي هذا الحديث الشريف بقوله: (لأنه إذا لم يكن واحداً عديم النظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه، ولذلك سميت سورة التوحيد بـ(سورة الجمال)[(١)].

٢ـ صنع الله تعالى هو المحور في بنية التوحيد ومعركة الإصلاح عند العقيلة زينب عليها السلام

انطلق ابن زياد بوحي شيطانه وتدليسه في معركته الفكرية في مجلسه الذي غص برموز الدولة والقادة العسكريين من الكوفة والشام العائدين من ساحة المعركة ووجهاء الناس وشيوخ القبائل في قصر الإمارة وهو المنتصر اليوم على خصمه الذي يدرك جيداً بأنه يمتلك رصيداً ضخماً في عقول الموحدين ومكانة لا يستهان بها عند المسلمين فهم لا يمكن إخفاؤهم على أهل الكوفة فبالأمس كانوا بها أسياداً وقادة ودعاة تلثم أعتابهم الأملاك وبحبهم تجري الأفلاك فعلى من يريد ابن زياد أن يخفي تلك الشموس الطالعة!

ولذا:

أراد كسب المعركة العقائدية والفكرية بعد أن توهم مع قادة جيشه، أنه انتصر في المعركة العسكرية فقام فنفث في الحاضرين أن هذا الصنع، هو صنع الله تعالى ليهون على الناس وأولئك الذين تلطخت أيديهم بدماء النبوة وما اقترفوه في كربلاء من جرائم، وصنعوا هذا الصنيع فهم لم يفعلوا وإنما الله هو الذي صنع؟!

---

(١) تفسير الرازي: ج٣٢، ص١٧٦.

وظن أنه بنفثه هذا السم على الحاضرين أن لا طاقة لابنة علي عليهما السلام بالرد عليه، بل لم يخطر على باله أنه سينهزم في هذه المعركة الدائرة في مجلس قصر الإمارة شر هزيمة لتبقى تدور في قاعات القصور ومقصورات الطواغيت إلى يوم الوعد الموعود.

فكان جوابها الكاشف عن رؤيتها في التوحيد الأفعالي لله تعالى: إنها لم تر إلا جميلا أنه صدر عن الله عزّ وجل فكل ما يصدر عن الله فهو جميل؟ إنه مفهوم جديد لم يطرق مسامع ابن زياد من قبل ولم يخالج عقله قبل هذا اليوم وهو الغارق في النفاق ليتربع في الآخرة في قعر جهنم قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

٣ـ الفاعل غير الفعل في بنية التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام

تنتقل العقيلة زينب عليها السلام بعد بيانها لرؤيتها في التوحيد إلى جانب آخر من التوحيد وهو القضاء والقدر الذي خلطه ابن زياد في قضاء الطواغيت والظالمين فجعل قضاءه بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متلازماً بقضاء الله تعالى بقتلهم ليلتبس على السامع أن هؤلاء بقضاء الله تعالى قد قتلوا ومن ثم لا عقاب ولا ثواب فقد تساوى القاتل والمقتول في القضاء الإلهي والعياذ بالله.

في حين جاء جواب العقيلة زينب واضحاً ومصححاً ومبدداً لهذه الشبهة العقائدية ففصلت بين الفاعل والفعل في أفعال الناس، فقالت عليها السلام:

«هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل».

وهنا:

كتب سبحانه عليهم أن يكونوا قتلى ولكن لم يكتب على القاتل أن يكون قاتلاً؛ بمعنى: أن هذه الأرواح ملك لله تعالى ومرجعها إليه وأمرها بيده فمنها ما يكون أمر رجوعها إليه بالمرض، ومنها يكون في الغرق ومنها على الفراش، ومنها في ساحة المعركة، فكل ذلك كتبه الله تعالى على خلقه في انهم يرجعون إليه وان أرواحهم تعود إليه سواء كان بعضهم طفلاً رضيعاً أو شيخاً كهلاً أو شاباً في عنفوانه، لكنه سبحانه لم يجعل أمر أزهاقها بما كتبه على المزهق أي الفاعل من الفعل فالفاعل غير مسلوب الارادة والاختيار كما أن الشهيد غير مسلوب الإرادة في الذهاب إلى ساحة القتال والا سقط الثواب ولكن ليس كل من ذهب إلى المعركة استشهد وهنا يكون معنى كلام العقيلة زينب عليها السلام:

«هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل»، «فبرزوا إلى مضاجهم» «وستحاج وتخاصم».

فلو كان الله سبحانه قد كتب على الفاعل القاتل ما يفعله من القتل فماذا سيحاج ويخاصم من الله تعالى.

وعليه: كان جوابها بهذه المعاني التوحيدية، نعم الله كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم إذ لابد لهذه الأبدان من موت وقبر تنام فيه لكنك يابن مرجانة المسؤول عن فعلتك وما اقترفته يداك.

٤ـ نواة التوحيد هو الإيمان بالغيب

بعد أن تظهر العقيلة زينب عليها السلام هذه الأسس في بناء الفكر

التوحيدي تنتقل بعد ذلك إلى نواة هذا الفكر والذي به تستقيم المدارات الفكرية حول الوحدانية لله تعالى.

فتقول عليها السلام:

«**وسيجمع الله بينك وبينهم**».

لكن متى؟

ليس الأمر ببعيد فمهما عمر الإنسان في الحياة فلابد له من الموت.

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1].

وما بعد الموت لأمرّ وأدهى فأين يكون المفر؟ أين ستذهب يابن زياد حينما يجمع الله بينك وبين هؤلاء؟ ألست القائل بوجود الله تعالى وإنه سبحانه هو الذي صنع هذا؟ فماذا ستقول له حينما سيجمعك مع هؤلاء المقتولين للتخاصم؟ فإن كنت تؤمن بالله فهذا الإيمان قوامه التوحيد ونواة التوحيد الإيمان بالغيب، قال تعالى:

﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

فإذن:

استعد للسؤال، وإن كنت لا تؤمن فدع الله سبحانه ولا تلصق أفعالك به وقل أنا الذي صنعت بأهل بيتك كل هذا الذي وقع في كربلاء.

وعليه: تقوم العقيلة زينب في معركتها الإصلاحية للمجتمع المسلم الذي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

خرج لقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اجتمع وجهاء المجتمع وقادة الحكم وهم يشهدون هذه المعركة الفكرية بين أحد أقطاب الفكر الاشراكي الذي يشرك فعل الفاعل بصنع الله تعالى والمرتكز على الأمن من العقاب في اليوم الآخر أو بالأخرى انعدام حصول الحساب في اليوم الآخر، وذلك لأن الله هو الذي صنع فلماذا يحاسب؟، بل ومن يحاسب؟ فليس هناك جناة. وبين أحد أقطاب الفكر التوحيدي الذي يرتكز على أن الإيمان بالغيب هو نواة التوحيد.

٥ـ قوام التوحيد في العدل الإلهي

ولأن الله سبحانه وتعالى عادل فلم يضع له شريك، فقوام التوحيد في العدل ولكونه سبحانه عادل لا يرضى ولن يرضى لعباده الظلم ولا يوقع عليهم الظلم.

ولذا: قالت عليها السلام:

«**وستحاج وتخاصم**».

فعلى الرغم من أن عبيد الله بن زياد متلبس بالظلم وأقدم على هتك حرمات الله تعالى وقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ذلك لم يمنع من المحاكمة وسيسأل وستقوم عليه الحجج وسيخاصم فيكون هو الخاسر المبين.

عندها: توعدته عليها السلام بالنصر عليه فقالت:

«**فانظر لمن الفلج يومئذ**».

فليس النصر ما قامت به الجند من إزهاقها للأرواح المقدسة وسفك الدماء الطاهرة وتقطيع الرؤوس الزكية وسلب نساء النبوة وسبي بنات الرسالة وترويعها وذبح الأطفال الرضع الصبيان من آل الحسين بالسيوف[١] وغير ذلك فهذا وغيره لم يحقق النصر وبل النصر بما يحكم به أعدل العادلين، فانظر يومئذ، وتلك الدعوة في النظر أشد على الكافر مما اقترفت يداه، فكل لحظة تمر عليه يشعر بأنه اقترب من الحساب فهو في غصة ومرارة إلى يوم يموت.

فضلاً على ذلك: فإن هذه الأسس التصحيحية للفكر التوحيدي ستشيد عليها معتقدات الناس حينما يخيرون بين الإيمان بالله سبحانه والكفر فيجعلون له شريكاً في طاعتهم للمال أو السلطان أو الهوى أو غيرها.

وقد أمرهم سبحانه قائلاً:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢].

ولا ينال الإخلاص في الدين إلا بمحمد وآله الطاهرين وإلا سيكون الإنسان توحيده كتوحيد عبيد الله بن زياد الذي وقف في المعسكر الآخر لقتال عترة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جعل الله سبحانه شريكاً في تلك الجرائم والظلم الكبير الذي اقترفته يداه وأيادي أنصاره وأعوانه ومن رضي بفعله.

---

(١) روى الطبري عن هانئ بن ثبيت الحضرمي، قال: رأيته جالساً في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير قال، فسمعته يقول: كنت ممن شهد قتل الحسين، قال: فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس وقد حالت الخيل وتصعصعت إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت إذ أقبل رجل يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم افتصد الغلام فقطعه بالسيف. (تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٣).

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

الأثر الثامن: الأثر التوثيقي

إن حادثة بحجم يوم عاشوراء تحتاج إلى مجموعة من الشواهد التوثيقية تتناسب مع حجم تلك المأساة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن قضية التوثيق هي في حد ذاتها معركة تدور رحاها بين كلا الخصمين اللذين شهدت أرض الطف ما جرى بينهما.

فبنو أمية حرصوا أشد الحرص على طمس هذه المأساة وإخفاء تلك الجرائم التي ارتكبها جيش عمر بن سعد وقادة الجيش وعامة الجند ـ وبالطبع ـ هي حالة ملازمة لكل جريمة وقعت منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل، فقد سعى لإخفاء آثار جريمته فأخذ يبحث عن وسيلة تنفعه في إخفاء جريمته وضياع كل ما من شأنه أن يوثق هذه الحادثة.

ولولا حرمة هابيل عند الله لما كان هناك ما يدل قابيل على دفن أخيه، قال تعالى:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[1].

فنشأت عند ذلك حالة نفسية تجذرت في النفس البشرية إلى قيام الساعة.

ولذا: جهد بنو أمية على طمس آثار مأساة الطف وكسب معركة التوثيق حينما يكون الشهود هم ممن تم تصفيتهم سواء أكانوا موالين أم مخالفين.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣١.

في المقابل: كان الإمام الحسين عليه السلام قد أعد العدة لتلك المصادر التوثيقية حينما أخرج عياله وأطفاله إلى كربلاء وعلى رأسهم الإمام زين العابدين وولده الإمام الباقر عليهما السلام فضلاً عن بنات النبوة.

من هنا:

نلمس خطورة المأساة ودقة هذا الخروج للنساء والأطفال.

أما بقية الشهود من الخصم وهم الذين تلطخت أيديهم بالدماء وغيرهم ممن حضروا في كربلاء مكثرين للسواد وقد بلغوا أكثر من ثلاثين ألفاً، فأغلبهم لم يكونوا أدوات توثيقية بمثل ما قدّمه عيال الحسين عليهم السلام والسبب يعود لأمور:

١ـ أن الذين خرجوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام أصبحوا بعد المأساة ملاحقين من المختار الثقفي، فتتبعهم حتى قتل منهم (ثمانية عشر ألفا)[1] وبذلك يكون نصف هؤلاء الذين شهدوا المعركة قد قضي عليهم.

أما من فرّ منهم من المختار إلى مصعب الزبيري فكانوا (عشرة آلاف)[2]، فهؤلاء لم يتجرأوا على كشف ما فعلوه كي لا يقع أحدهم تحت عيون المختار وأعوانه المنتشرين في الكوفة وغيرها.

٢ـ إنّ الذين تداركوا أمرهم وخرجوا من الكوفة إلى مكة ليدخلوا تحت راية الزبيريين أو الذين لحقوا بالشام سواء من كانوا من أهلها أو الذين كانوا

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣٣٠.

(٢) المصدر نفسه.

من أهل الكوفة لم يجرؤ كثير منهم على البوح بما فعلته يداه وذلك هروباً من عار ما اقترفه والمرء لا يبوح بما هو عار عليه. وبذلك لم يكونوا من أدوات التوثيق.

٣ـ إن الذي نجا منهم من سيف المختار لم ينجُ من عقاب الله الذي أخذ يلاحقهم فرداً فرداً، فكانوا عندئذ مادة توثيقية لبيان حرمة أهل البيت عليهم السلام. بقي عندنا بعض الذين كانوا من الأصل شواهد من هذا الجانب فقط ولذلك لم نشهد هناك أدوات توثيقية كثيرة كحميد بن مسلم أو ما استطاع جمعه أبو مخنف ممن شهد الفاجعة سواء كانوا من أفراد جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص أو من أهل القرى القريبة من كربلاء كالغاضريات وهم من بني أسد الذين استعان بهم الإمام زين العابدين في دفن الأجساد.

وعليه:

يبقى وجود النساء والأطفال والإمامين السجاد والباقر عليهما السلام هو المادة الأساسية لتوثيق مصائب كربلاء، أما إجمال القضية التي شهدت مظاهر يوم الطف فقد أرخها المؤرخون لكن تبقى كثير من مشاهد المأساة لم تكشف بعد، كالحملة الأولى للأصحاب فقد اكتفى التاريخ بقوله عنها:

(فما انجلت الغبرة إلا واثنين وخمسين صريعاً على الأرض).

أو تلك الأيام التي سبقت المعركة.

وكمصائب الرأس الشريف وما لحق بمسير النساء والأطفال من كربلاء إلى الكوفة والشام ومجريات ليلة الحادي عشر وغير ذلك، فكثير منه لم يكشف بعد، ولولا وجود عيال الحسين عليه السلام لغيب كثير مما وصل إلينا.

الأثر التاسع: الأثر الفقهي

الأصل في الحقوق الفردية للمسلم حرمة دمه وماله وعرضه وهذا الحكم الشرعي منجّز في ذمة المكلف الذي يعتقد بالإسلام ديناً، أما من لا يعتقد بالإسلام فإن دم المسلم وماله وعرضه مباح لديه.

ومن ثم فإن دلالة: (شاء الله أن يراهن سبايا) هو لكشف حقيقة معتقد شيعة آل أبي سفيان الذين خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»[1].

فناداه شمر فقال:

ماذا تقول يا حسين؟!

فقال:

«أقول أنا الذي أقاتلكم، وتقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا».

ولذلك لما تعرضوا للنساء والأطفال كشفوا بذلك عن عدم إيمانهم بأي دين. وهو ما حققه وجود عيال الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في كشف هذا الأثر الفقهي حينما أباحوا مال رسول الله والتعرض لسلب بناته وسفك دماء ذريته.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص٧١.

الأثر العاشر: حفظ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانقطاع

إن المتتبع لحركة السيرة النبوية منذ أن بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وما تبعها من أحداث سجلت في تاريخ المسلمين، يلمس من الشواهد التي تدل على أن المنافقين والمشركين كانوا يصبون جل غضبهم على كل ما له صلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما بني هاشم فما سلم منهم إلا من كان غير مؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبي لهب أو الذين كتموا إسلامهم كالعباس بن عبد المطلب وأبو طالب رضوان الله عليه وعقيل بن أبي طالب، ومن هذه الشواهد.

١ـ فرض الحصار عليهم وهجرهم في شعب أبي طالب حتى كادوا أن يهلكوا جميعاً وهي أول محاولة للإبادة الجماعية عند العرب.

٢ـ التنكيل بهم، فقد روى الطبراني عن عبد الله بن عمر أنه قال: إنما ـ أنا ـ لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه بنت محمد؛ فقال أبو سفيان إن مثل محمد في بني هاشم كمثل الريحانة في وسط النتن أو قال التبن، فانطلقت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فخرج ويعرف في وجهه الغضب فقال:

«ما بال أقوام يؤذونني في أهلي».

ثم قال:

«إن الله خلق السماوات سبعا فاختار العليا فسكنها وأسكن سائر سماواته من شاء من خلقه وخلق الأرضين سبعا فاختار العليا وأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم فاختار من

بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار فمن أحب العرب فلحبي أكرمهم ومن أبغض العرب فلبغضي أبغضهم»[(١)].

٣ـ الحط من قدرهم وإن قرابتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تنفعهم.

وهو ما أخرجه أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

تزعمون أن قرابتي لا تنفع قومي والله أن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، إذا كان يوم القيامة يرفع لي قوم يؤمر بهم ذات اليسار فيقول الرجل: يا محمد أنا فلان بن فلان ويقول الآخر أنا فلان بن فلان فأقول: أما النسب قد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم على أعقابكم القهقرى.

وهنا: أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يضع قريشاً على حقيقتين:

أ . ان قرابته تنفعهم يوم القيامة فمن شاء فليتمسك بهم ومن شاء فليعرض عنهم.

ب . انهم سيرتدون على أعقابهم لما أحدثوا في الأمة والانتهاك لحرمته وقتل قرابته.

ويروي الحافظ الهيثمي في زوائده عن عبد الله بن عباس قال: توفي ابن لصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت عليه وصحت فاتاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها:

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني: ج٦، ص٢٠٠؛ مستدرك الحاكم: ج٤، ص٧٣.

يا عمة ما يبكيك.

قالت: توفي ابني. قال:

يا عمة من توفي له ولد في الاسلام فصبر بنى الله له بيتا في الجنة.

فسكتت ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلها عمر ابن الخطاب فقال يا صفية قد سمعت صراخك ان قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنك من الله شيئا فبكت فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها فقال:

يا عمة أتبكين وقد قلت لك ما قلت؟!

قالت: ليس ذاك أبكاني يا رسول الله استقبلني عمر بن الخطاب فقال إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنك من الله شيئا قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة فصعد المنبر صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي فإنها موصولة في الدنيا والآخرة.

فقال عمر فتزوجت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحببت أن يكون لي منه سبب ونسب ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهلية فقلت ـ منّا ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الشجرة لتنبت في الكبا قال فمررت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال يا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله. قال:

أنسبوني.

قالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال:

أجل أنا محمد بن عبد الله وأنا رسول الله فما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا.

قال فلما سمعت الأنصار بذلك قالت قوموا فخذوا السلاح فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغضب قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم لا ترى منهم إلا الحدق حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحرة حتى تضايقت بهم أبواب المساجد والسكك ثم قاموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبرنا عترته فلما رأى النفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا وتنصلوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الناس دثار والأنصار شعار.

فأثنى عليهم وقال خيرا[1].

٤ـ الإشارة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم كما في معركة بدر.

وهذا ما يخص بني هاشم بشكل عام. ولو أردنا أن نحصي الشواهد على محاربة علي وفاطمة وولديهما في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخرج الكتاب عن العنوان.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٨، ص٢١٦. ذخائر العقبى للطبري: ص٦.

ولكن:

يكفي بالباحث والقارئ التتبع لهذه الحقيقة، أي: محاربة كل ما له صلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن هذه الحرب تزداد ضراوتها كلما كانت هذه الصلة أقوى وأقرب لتتبلور في علي وفاطمة عليهما السلام بالرجوع إلى أول عملية قتل لنسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي كانت بعد وفاته مباشرة حينما تم الهجوم على بيت فاطمة فاسقطت المحسن عليه السلام وهو أول شهيد من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لو قدر الله له البقاء لكان ثلث نسل رسول الله منه.

لكن شاء الله تعالى أن يشهد علي وفاطمة عليهما السلام أول القرابين إليه في حياتهما.

ثم تلته بعد ذلك قتل فاطمة عليها السلام التي كان نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها بعد مرور خمسة وسبعين يوما على وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبذلك يكون أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد سددوا رميتهم إلى قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقطعوا مشكاة نسله.

ثم قتلوا ولده الإمام الحسن عليه السلام حينما دس إليه معاوية وابنه يزيد السم بعد أن تمكن أعوانه من الوصول إلى زوجته جعدة بنت الأشعث فدفعوا السم إليها والمال وتزويجها بيزيد بن معاوية[1].

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٣، ص٢٨٤. الوافي بالوفيات للصفدي: ج١٢، ص٦٨. البداية ←

حتى إذا وصلنا إلى كربلاء نجد إصرار المنافقين على إبادة الحسين عليه السلام وذريته جميعاً وبشتى الطرق، والمناداة بذلك:

١ـ فقد روى الطبري أن: شمر بن ذي الجوشن حمل حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، قال فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، قال: وصاح به الحسين عليه السلام:

«يا ابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي، أحرقك الله بالنار!»[1].

٢ـ حينما تصدى أصحاب الحسين عليه السلام وبنو هاشم لجيش عمر بن سعد ومنعوهم من الوصول إلى خيام الإمام الحسين عليه السلام نادى عمر بن سعد بالجيش: (أحرقوها بالنار فأضرموا فيها النار فصاحت النساء، ودهشت الأطفال، فقال الحسين عليه السلام:

«دعوهم يحرقوها فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يجوزوا إليكم، فكان كما قال»[2].

٣ـ لم يزل ابن سعد يحاول القضاء على الحسين وأهله فنراه يأمر الجيش

والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٤٧. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني: ص٣١. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٣، ص١٢٣. الاستيعاب لابن عبد البر: ج١، ص٣٨٩. أسد الغابة لابن الأثير: ج٢، ص١٥. تهذيب الكمال للمزي: ج٦، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٢، ص٢٦٠.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٤؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٦٩؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص١٩٧؛ مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٤١.

(٢)تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٤؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٦٩.

بقوله: (ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع)[١].

كل هذه المحاولات كشفتها وقعة الطف حتى إذا انجلت الحرب وإذا بنا نشهد صوراً جديدة تؤكد هذه الحقيقة وهي السعي في القضاء على نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبادة أهل بيته، لكن أنّى لهم ذلك وقد شاء الله أن يحفظ نسل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيبه، فبوجود العقيلة زينب عليها السلام وبجهادها استطاعت أن تحفظ بقية الله وحجته ومورد ذرية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت هذه المشاهد كالآتي:

١ـ روى الطبري عن حميد بن مسلم، أنه قال: انتهيت إلى علي بن الحسين ابن علي الأصغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟

قال، فقلت: سبحان الله، أنقتل الصبيان إنما هذا صبي.

قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا، لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم، قال: فو الله ما رد أحد شيئا[٢].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٧. مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف الأزدي: ص٢٠١.

وفي رواية السيد المقرّم «رحمه الله» كان المشهد أكثر وضوحا فقال «رحمه الله»: وانتهى القوم إلى علي بن الحسين وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض فقائل يقول: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً، وآخر يقول لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل الصبيان؟ إنما هو صبي مريض فقال: إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين، وبالغ ابن سعد في منعه خصوصاً لما سمع العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين تقول:

«**لا يقتل حتى أقتل دونه فكفوا عنه**»[1].

٢ـ وحينما أمر عبيد الله بن زياد بإدخال بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قصر الإمارة، وبعد فظاظته وعجرفته مع ابنة أمير المؤمنين زينب عليها السلام التي عقرت بكلماتها رحم سلطانه أن قال لعلي بن الحسين عليهما السلام وقد التفت إليه: ما اسمك؟ قال:

«**علي بن الحسين**».

فقال: أو لم يقتل الله عليا؟ فقال زين العابدين عليه السلام:

«**كان لي أخ أكبر مني يسمى عليا قتله الناس**».

فرد عليه ابن زياد بأن الله قتله، قال عليه السلام:

«**الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله**»[2].

وروى الطبري: أن ابن زياد حينما سمع هذا القول من الإمام زين العابدين

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤٢.

عليه السلام قال: أنت والله منهم، ويحك أنظروا هل أدرك؟ والله إني لأحسبه رجلاً قال: فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري، فقال: نعم، قد أدرك.

قال: أقتله.

قال علي بن الحسين عليه السلام:

«من توكل بهؤلاء النسوة».

وتعلقت به زينب عمته فقالت:

«يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منا أحداً».

قال: فاعتنقته، فقالت:

«أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه».

قال: وناداه علي بن الحسين فقال:

«يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام».

قال: فنظر إليها ساعة ثم نظر إلى القوم فقال:

عجباً للرحم والله إني لأظن أنها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه، دعوا الغلام انطلق مع نسائك[1].

إذن: إن من الآثار التي ظهرت في إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله إلى كربلاء هو حفظ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانقطاع فضلاً عن حفظ حجة الله تعالى الذي كان منه أئمة ثمانية سلام الله عليهم أجمعين.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٨. البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢١١، مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ص٢٠٦.

الأثر الحادي عشر: الأثر الوجداني

لم يشهد التاريخ الإنساني ولاسيما العربي أن هناك امرأة استطاعت أن تمتلك القدرة على تحريك الحس الوجداني كعقيلة الطالبيين وابنة أمير المؤمنين زينب عليهما السلام، بل تكاد تكون هذه الصفة منحصرة بها وكأنها هي الوحيدة التي أصيبت من بين بنات علي أمير المؤمنين عليه السلام حتى لقبت بألقاب عديدة تنم عن حجم تأثيرها عليها السلام بالمشاعر الإنسانية.

فلقد لقبت بأم المصائب، وكعبة الرزايا؛ ومرفأ الدمعة، وأم الحزن، وغيرها من الألقاب التي يدركها الإنسان الحي والمنصف ـ بغض النظر عن دينه أو مذهبه ـ وذلك أن المناط بهذا كله هو الوجدان الإنساني.

ولذا:

حينما يكون هذا الأثر الحساس والفعال متلازماً مع خروج النساء والأطفال نوقن أن النتائج التي حققها هذا الخروج ـ لاسيما فيما يخص هذا الأثر ـ لها من الخطورة بمكان ما جعل الحكام الأمويين والعباسيين وبعض المذاهب المخالفة لمذهب العترة النبوية أن تشد العزم بمحاربة كل ما له علاقة بتحريك هذا الحس الوجداني، لغرض التمكن من منع الإنسان من التأثر بهذه الرزية أو الانقياد لها وإتباعها مما يعني نشر مذهب العترة النبوية عليهم السلام.

فضلاً عن كشف حقيقة هؤلاء الحكام، بل أبعد من ذلك تقديم صورة نقية لا تشوبها شائبة عن تلك الحقبة الزمنية التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن التاريخ الذي وضعته أيدي المتزلفة للحكام إنما صيغ بمقاس

يتناسب مع مقتضيات الحكام وغرائزهم وشهواتهم.

ومن ثم: يصبح الناظر أمام حالين إما:

١ . إعادة النظر والتأمل والتفكر ليصل به الفكر إلى القطع بظلامة أهل البيت عليهم السلام وضياع حقهم وإنهم أولى بالإتباع والاقتداء في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٢ . واما انه بحاجة اولاً إلى النظر في نفسه وطريقة تفكيره ونظرته للأمور، وذلك ان عدم التأثر وجدانياً بهذه الأحداث هو خلاف الطبيعة الإنسانية.

ولعل تتبع الشواهد الإنسانية المفعمة بالعاطفة والحزن والدمعة والزفرات يخرج البحث عن عنوانه إلا أننا نكتفي بشاهد واحد من التاريخ الإسلامي الذي عمل الرواة جاهدين على حبس هذه المشاهد عن الظهور إلى الناس.

فقد روى الطبري عن أبي مخنف عن أبي زهير العبسي، عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده، صحن ولطمن وجوههن.

قال: فاعترضتهن على فرس، فما رأيت منظرا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن، ذلك والله لهن أحسن من مهى يبرين، قال فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعا، وهي تقول:

«يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعرا، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء.

يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا».

قال: فأبكت والله كل عدو وصديق[١].

أقول: يعز على كل مسلم غيور، وعلى كل عربي صاحب حمية أن تتعرض بنات النبوة وربيبات الرسالة إلى هذا الهتك للحرمة وقد قتلت رجالهن وحماتهن وهن لا حول لهن ولا قوة فان كان الرجال برزوا للحرب فقاتلوا وقتلوا فما بال النسوة وهن بهذه القرابة القريبة من سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وأي دين أصبح لدى الناس في أرض الطفوف؟!

الأثر الثاني عشر: ترسيخ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاكها وتثبيتها في نفوس المسلمين

إنّ من الحقائق التي كشفتها واقعة الطف في يوم عاشوراء اعتقاد الناس بذهاب حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته إلى المستوى الذي شهدته كربلاء من سفك دماء ولده وسبي بناته فلم يشهد حينها دين من الأديان هذا الحد من التجري على الله وأنبيائه ورسله.

ولعل البعض يستغرب من هذه الحقيقة مستبعداً إن ذلك الاعتقاد كان سائداً في المجتمع الإسلامي لاسيما ـ وكما أسلفنا ـ إننا نتحدث عن أناس كانوا بحسب الموازين الحديثية أنهم أبناء أهل غير الأزمنة، فهم اتباع السلف الصالح ومن ثم كيف يمكن أن يكون هؤلاء صلحاء وهم قد تجروا على الله تعالى ورسوله بتلك

---

(١) مقتل أبي مخنف: ص٢٠٤؛ تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٩؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٢؛ البداية والنهاية لابن الأثير: ج٨، ص٢١٠؛ اللهوف لابن طاووس: ص٧٩؛ جواهر المطلب لابن الدمشقي: ج٢، ص٢٩١.

الانتهاكات للحرمة؟!

فإما أننا نقرأ هذه الوقائع وهي تتحدث عن أناس لم يعرفوا الإسلام ولم تسمع آذانهم باسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهم غرباء عنه، فكيف لهم أن يؤمنوا به؟!

وأما أننا أمام حقيقة مرة تؤكد أن هؤلاء عرفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا حديثه إلاّ أنهم لم يؤمنوا به، بل حقدوا عليه أشد الحقد وبغضوه وحاربوه حيا وميتاً، بل إن حربهم له صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته أشد بكثير من حربهم له في حياته، وذلك لخوفهم من الافتضاح.

قال تعالى:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[1].

ولذا:

فحينما شاء الله تعالى: «ان يراهن سبايا» كان من مصاديق هذه المشيئة إظهار ما كان المنافقون يحذرون من كشفه فأخرجه الله تعالى في يوم عاشوراء وغيره. كما نصت الآية المباركة.

كانوا سراعاً في انتهاك هذه الحرمة وأخذ الثأر منه ببنيه وذريته فأول ما بدأوا به هجومهم على دار ابنتة فاطمة واقتحامه وجمع الحطب على بابها وحرقها.

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

ولم يكن وجود الحسن والحسين وأمهما فاطمة وهي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي يرضيه ما يرضيها ويغضبه ما يغضبها[1]، بما نعهم عن حرق دارها واقتحامهم له، حتى وقفت ـ بأبي وأمي ـ خلف الباب لعل البعض منهم يرتدع حينما يسمع صوتها ويعلم بوجودها فلا ينتهك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لعلها أرادت أن تقطع عليهم العذر حينما يخاصمهم سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فيقول أحدهم انني لم أكن أعلم بوجودها.

ولذلك:

وقفت تنادي فيهم وترد على عمر بن الخطاب حينما أخذ ينادي: يا ابن أبي طالب: افتح الباب فقالت فاطمة عليها السلام:

«يا عمر، ما لنا ولك؟ ألا تدعنا وما نحن فيه».

قال: افتحي الباب وإلاّ أحرقناه! فقالت:

«يا عمر، أما تتقي الله عزّوجل، تدخل بيتي وتهجم عليّ داري».

فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه عمر.

فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت:

«يا أبتاه يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!».

فرفع ـ عمر ـ السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت، فرفع السوط

---

(١) أنظر صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب مناقب المهاجرين وفضلهم: ج٤، ص٢٣.

فضرب به ذراعها فصاحت:

«يا أبتاه!»[١].

فهذه النار التي أضرمت بقلب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحرقت دار بضعته وانتهكت حرمته وقتل ولده كانت الأساس الذي بنى فوقه الناس التجري على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليتضاعف هذا اللهب فيحرق قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل علي بن أبي طالب عليه السلام في محراب جامع الكوفة ومسجدها ثم لينثني بعده على ريحانته المجتبى فيمضي إليه مسموماً وقد قطع كبده ورمي جثمانه بالسهام ثم تمنعه عائشة من الدخول إلى روضة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهي تنادي بصحابة النبي وبأهل بيت النبوة:

(لا تدخلوا بيتي من لا أحب، إن دفن الحسن في بيتي لتجز هذه)[٢] وأشارت إلى ناصيتها.

فكيف ورثت الزوجة دون البنت، هذا ما لم يكن في ملة من الملل إلا في هذه الأمة التي لم تدع حرمة لنبيها إلا انتهكتها.

حتى إذا وصلنا إلى كربلاء الرزايا فإننا نجد أعظم المصائب التي ألمت برسول

---

(١) كتاب سليم بن قيس بتحقيق محمد باقر الأنصاري: ص١٥٠؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٢٨، ص٢٦٩.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١، ص٣٥، (مقدمة التحقيق)؛ الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١٨؛ الخرائج والجرائح للراوندي: ج١، ص٢٤٢؛ تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٢٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦، ص٥٠.

الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشدها ألماً.

فبين قتل ولده وذريته، وسفك دمائهم، والتمثيل بهم، وبين سبي بناته وسلبهن، وكشف رؤوسهن، وضرب أجسامهن بالسياط وكعوب الرماح، ثم يطاف بهن البلاد يستقبلهن الذمي واليهودي والنصراني والمسلم والعربي والأعجمي.

كل هذه المشاهد المروعة والمرسخة للتجري على الله وانتهاك حرمته وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كانت بحاجة إلى ما يعيدها إلى وضعها الصحيح، أي إرجاع الحرمة للحدود الشرعية وحرمة الله ورسوله إلى أذهان الناس لتستقر في قلوبهم بعد أن صدأت بما أسسه السلف.

فكان كالآتي:

أولاً: دخولهن بالحالة المفجعة إلى الكوفة عمل على تصديع سنة التجري

إن من السمات الأولى التي يظهرها خطاب السيدة زينب عليها السلام في الكوفة هو انقلاب حال الكوفة عند رؤيته للسبايا وما رافقه من مشاهد للرؤوس لاسيما رأس ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ تظهر العقيلة زينب (عليها السلام) الحالة التي أصبح عليها الناس من خلال خطابها فتمرر للقارئ والباحث ذلك المشهد العام الذي أصبح عليه الناس لتقطع الطريق على المتزلفة والوضاعة حينما يحاولون طمس هذا التحرك الاجتماعي والهيجان النفسي الذي أحدثته العقيلة زينب عليها السلام على الرغم من كل التراكمات التي جمعتها السنين وهي تتلقى فكر التجري في مجتمع الكوفة.

هذه المدينة التي غير فيها التثاقف السفياني فصدع بنيانها الفكري ومعطياتها العقائدية إلى ذلك المستوى الذي شهدته أرض كربلاء[١].

فما كان دخول السبايا ومرورهن بين تلك الجموع إلا كحالة الكي للجرح الذي أصاب المسلمين منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعقبه انعقاد السقيفة.

ولذا: وقفت ابنة أمير المؤمنين تخاطب هذا الجمع فابتدأت بأول هذه المعالجات الاجتماعية والعقائدية فقالت:

«الحمد لله، والصلاة على أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

وفي لفظ:

«الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار»[٣].

إذن:

جوهر القضية العاشورائية هي حرمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولذا استخدمت في صلاتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفظ (أبي) ولم تقل جدي أو نبي الله، أو رسول الله، أو غيرها من أسمائه وصفاته، فهذه الواقفة الآن أمامكم هي ابنته وهي من يُبتدأ الكلام بحمد الله والصلاة على أبيها.

---

(١) لمعرفة المزيد عن الآثار التثاقفية التي اهتم بها الأنثروبولوجيون، ينظر: كتاب الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام للمؤلف.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٢٣. الأمالي للطوسي: ص٩٢.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص٨٦. البحار: ج٢٥، ص١٠٩. العوالم، للإمام الحسين عليه السلام: ص٣٧٨.

ثم تنحدر ابنة سيد البلغاء والمتكلمين إلى أداة علاجية أخرى وهي صدمهم بعظيم الجرم الذي فعلوه، فقالت:

«أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟».

إذن:

عامة أهل الكوفة اليوم في حال البكاء، والباكي حينما يبكي إنما لشعوره بالندم على تفريطه في حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، مما يعني: أنهم في حال من الغليان النفسي وحرارة المشاعر الوجدانية فيحتاجون مطرقة من يد ابنة علي الكرار تعيد النفوس التي اعوجت إلى الاستقامة.

فقالت:

«فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والصدر الشنف وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون»[1].

ثم تعود سلام الله عليها إلى تأجيج نار الندم في قلوبهم ليكوّنوا أساساً جيداً لبناء صون الحرم فقالت:

«أتبكون وتنتحبون، أي والله فأبكوا كثيرا، واضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً، فسليل خاتم الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وأمارة محجتكم، ومدرجة حجتكم خذلتم، وله قتلتم؟! ألا ساء ما تزرون،

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٦٦.

فتعسا ونكساً، فلقد خاب السعي، وتربت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة»[(١)].

ثانيا: إن هتك حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسده شيء.

بعد هذا الغليان الذي تجمرت له القلوب التي وقفت تستمع لابنة الكرار انعطفت عليها السلام تطرقها بمطرقة الحرمة النبوية التي انتهكت فقالت:

«ويلكم يا أهل الكوفة:

أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟

وأي كريمة له أبرزتم؟

وأي دم له سفكتم؟

وأي حرمة له انتهكتم؟

لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّا!

ولقد أتيتم بها فرقاء شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء؛ أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد»[(٢)].

قال خزيمة الأسدي وقيل بشر: فو الله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى قد ردوا أيديهم إلى أفواههم[(٣)].

(١) الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٢٣، ح٨. الأمالي للطوسي: ص٩٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٦٢.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣١؛ مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٦٢؛ بلاغات النساء لابن أبي طيفور: ص٢٤.

(٣) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥، ص١٢١.

ثالثا: التلازم بين حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أبنائه وذريته

بعد هذا الزلزال الذي أحدثته العقيلة زينب عليها السلام في أرض تلك القلوب المتحجرة تأتي السيدة أم كلثوم بأداة لعلاج تلك القلوب، وذلك من خلال بيان التلازم فيما بين حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أهل بيته وأبنائه وذريته فقالت عليها السلام:

«صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب. يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم وأي وزر على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتم وأي كريمة أصبتموها وأي صبية أسلمتموها وأي أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبي ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون».

فضج الناس بالبكاء ونشرن النساء الشعور وخمشن الوجوه ولطمن الخدود ودعون بالويل والثبور فلم ير ذلك اليوم أكثر باك)[1].

وهنا: نرى بوضوح حقيقة هذا التلازم في الحرمة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذريته وما يرتبط بهم من أموال وممتلكات وأعراض التي فرضت حولها الشريعة الإسلامية حدوداً كثيرة توجب على المسلم الالتزام بها وعدم التعدي عليها.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٣٣٢؛ البحار: ج٤٥، ص١١٢؛ مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص٦٩؛ اللهوف للسيد ابن طاووس: ص٩١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

الأثر الثالث عشر: الدفاع عن حق علي عليه السلام في الوصاية والخلافة التي اغتصبت

إنّ من الآثار التي أظهرها إخراج النساء إلى أرض كربلاء هو الدفاع عن حق علي عليه السلام في الوصاية والخلافة التي اغتصب بلحاظ كونه أول الحقوق التي انتهكت وضيّعت، وإن الأمة التي اغتصبت حق الله في تعيين الخليفة وجعله في مقام الوصاية لرسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وتعديهم على هذا المقام ودفع صاحبه الشرعي عنه وإعطائهم أنفسهم الحق في الاختيار والتعيين على الرغم من نهي القرآن عن ذلك لحري بها أن تنساق إلى ما هو أعظم من الانتهاكات لمقام الخلافة، وهو سفك دماء حجة الله ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسفك دماء أهل بيته وولده وأصحابه. قال تعالى:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾[2].

من هنا: كان دفاع بنات النبوة عن الشريعة وإرجاع الحق إلى موضعه ولو من باب الاحتجاج على الخصم الذي لم ينته من التعدي على تلك الحرم الإلهية التي كشفت حقيقة اعتقاده وثقافته الشرعية التي تختلف جذرياً عن المعطيات القرآنية والتعاليم السماوية.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

لكن الملاحظ في هذا الدفاع هو تسلسله في التوجيه وكأنه ضربات سيف تتوالى على المعاند لتقطع تلك القيود التي قيد بها قلبه المنافقون وعقله فانصاع إلى أعداء الله مناصراً وعن حجج الله منصرفاً بل ومحاربا.

ولذا:

كان المنهاج الدفاعي يترتب على مجموعة من الخطب التي استخدمت فيها العلاجات المناسبة والأدوات الفعالة لاستئصال هذا الورم الخبيث الذي ضرب بجذور العقيدة الإسلامية.

فكان أول الدفاع على لسان العقيلة زينب التي استطاعت ـ كما أسلفنا ـ تحريك القلوب التي أطبق عليها الرين فأظهرت عظمة حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يراعوا له حرمة ثم بينت التلازم بين حرمته وحرمة أهل بيته حتى عظم من أهل الكوفة الندم ودعوا بالويل والثبور على أنفسهم، لتأتي بعد ذلك فاطمة الصغرى وهي ترى هذا الفتح الذي حققه خطاب العقيلة زينب، فتأتي هي بجولة جديدة من الدفاع عن الشريعة، فتضع أمامهم ذلك الحق الذي انتهكوه والحد الذي تعدوا عليه ألا وهو حق علي بن أبي طالب عليه السلام في خلافة مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو الوصي الذي جعله الله تعالى فيه.

فقالت بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على محمد وآله مدافعة عن خلافة علي عليه السلام:

«اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله،

وبها معشر مسلمة بألسنتهم، تعسا لرؤوسهم! ما دفعت عنه ضيما في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيب الضريبة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيرا، وحمدت مناقبه كبيرا، ولم يزل ناصحا لك ولرسولك صلى الله عليه وآله صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك، زاهدا في الدنيا غير حريص عليها، راغبا في الآخرة مجاهدا لك في سبيلك، رضيته فاخترته، وهديته إلى طريق مستقيم»[1].

وهذه الكلمات قد احتضنت كثيراً من الحقائق التي ضمت حياة الإسلام منذ بعث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والى يوم عاشوراء لا يسع المجال للاسهاب في دلالاتها ففيها الكفاية لمن كان له قلب، وإلا أي منصف وبغض النظر عن معتقده وهو ينظر في هذه الكلمات ولا يجد فيها ما نزل بعلي بن أبي طالب من الظلم من هذه الأمة فضلاً عن بيان شخصه المتفرع من القرآن والسنة المحمدية.

الأثر الرابع عشر: الأثر الإرشادي

يعد الأثر الإرشادي من أبرز الآثار ظهوراً في خروج بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه من كربلاء إلى الشام، وسبب هذا الظهور يعود إلى مجموعة من العوامل:

١ ـ الاختلاف في تفاعل المجتمعات عند رؤيتها لحرم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي تدخل عليها، فمنها ما كان متعاطفاً ومنها ما كان شامتا ومتشفيا ومنها ما كان متجاهلاً أو جاهلاً.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٢٧؛ مثير الأحزان لابن نما: ص٦٧؛ البحار: ج٤٥، ص١١٠.

٢ـ ترتب مجموعة من السنن الكونية على تلك المجتمعات التي تعاملت مع دخول حرم آل محمد إليها كل حسب تأثره حجماً ونوعاً.

٣ـ استحقاق بعض أفراد هذه المجتمعات الجزاء الأخروي الآني واكتساب الجنة على الرغم من هول المنظر الذي رافق دخول هؤلاء النسوة والأطفال إلى هذه المدن مما يترتب عليه من الناحية الاجتماعية والنفسية آثار ارتداعية، بمعنى: زرع الذعر في نفوس الناس كي لا يحاول أحدهم الخروج على الحاكم أو مجرد الاعتراض عليه، وأنى له الوقوف بوجه الحاكم وهو يرى أن آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا حالهم؟!

إلا أن ذلك الرعب لم يكن بمانع بعض الرجال أو النساء من الاستجابة السريعة إلى صوت الحق والعدل ومحاربة الظلم ونصرة المظلوم، وأي مظلوم أعظم من الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

ولذلك:

نجد أن دخول سبايا آل محمد إلى الكوفة والشام وهم بتلك الحال دفع البعض إلى عدم التحمل في السكوت فانبرت إحدى النساء لتسأل بنات النبوة من أي الأسارى أنتم؟!

قلن:

(نحن أسارى آل محمد).

سؤال غريب جداً!

والغرابة فيه يمكن الوقوف عليها من خلال الاحتمالات الآتية:

ألف: إما أن هذه المرأة الكوفية قد رأت وجوهاً قد جللها النور وعلاها الحسن والجمال فدفعها الحس الأنثوي لمعرفة هوية هؤلاء النسوة لاسيما وقد نصت بعض المقاتل على وضاءة تلك الوجوه كقول فاطمة بنت أمير المؤمنين عليهما السلام لما أدخل السبايا على يزيد في الشام وقد رأها أحد رجال الشام فطلب من يزيد أن يهبها له كي تكون خادمة.

فقالت:

وكنت جارية ـ أي فتاة ـ وضيئة، فأرعدت وفرقت وظننت أن ذلك جائز لهم وأخذت بثياب أختي زينب وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت:

«كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله...»[١].

ومما يدل عليه أيضاً:

١. ما رواه الحميري القمي عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: (لما قدم على يزيد بذراري الحسين عليه السلام دخل بهن نهاراً مكشوفات وجوههن، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام:

(نحن سبايا آل محمد)[٢].

٢. ما رواه الطبري عن أبي مخنف عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده، صحن ولطمن وجوههن، فاعترضتهن

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٥٣؛ الأمالي للصدوق: ص٢١٣؛ الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١٢١؛ تاريخ دمشق: ج٦٩، ص١٧٧.

(٢) قرب الإسناد للحميري: ص٢٦؛ الأمالي للصدوق: ص٢٣٠.

على فرس، فما رأيت من منظر من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن[1].

باء: أو أن تكون الحالة التي كانت عليها السبايا لم يشهد أهل الكوفة مثلها من قبل على الرغم من أنهم قد اعتادوا على رؤية السبايا، وذلك أن الكوفة كانت حاضنة للجند وممراً للمقاتلين باتجاه الشرق وعليه سيكون دخول السبايا القادمة من الفتوحات امراً طبيعيا للكوفيين.

ولم تكن الحالة التي كان عليها النساء والأطفال بباعثة للتساؤل في نفوس نساء الكوفة أو غيرهن من النساء فقط وإنما تعدّى الأمر كذلك إلى الرجال مما عمل على تحقق الأثر الإرشادي والوعظي لهذا الوجود النبوي في حركة السبايا.

وهو ما نجده في الشام حينما أدخلت بنات النبوة لهذا البلد في أول يوم من صفر فأوقفوهم على باب الساعات، وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم في فرح وسرور ودنا رجل من سكينة وقال: من أي السبايا أنتم؟

قالت:

نحن سبايا آل محمد.

والملاحظ في هذا المشهد التأريخي أمور:

أولاً: إن الحال الذي كان عليه بنات النبوة والأطفال يختلف من مكان إلى آخر.

فالحال الذي كانوا عليه في الكوفة يختلف عنه في الشام ولذلك نجد: ان صيغة السؤال في الكوفة كانت:

---

(١) مقتل أبي مخنف: ص٢٠٤. تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٩.

من أي الاسارى أنتم؟

فكان الجواب بنفس الصيغة فقال سكينة :

نحن أسارى آل محمد.

بمعنى تأكيداً للحالة المأساوية التي كان عليها هؤلاء النساء والأطفال حينما دخلوا الكوفة وهي حال الأسر.

لكن الحال الذي كانوا عليه في الشام يختلف فقد دل عليه سؤال الرجل قائلا :

من أي السبايا أنتم؟

أي أصبحت الحالة التي هم عليها (حالة السبي) وهي أعظم من حال الأسر ؛ إذ ليس كل أسير يتم قتل ولده وسلب ماله في حين المسبي يكون مفجوعاً بقتل ولده ، وسلب ماله وكذا المرأة المسبية فانها تكون قد سلبت ما لديها من زوج وابن ومال وأقله مقنعتها.

ثانياً : أن أهل الشام قد استقبلوا سبايا آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحال من الفرح والسرور والشماتة التي لم يلقها آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مجتمع من المجتمعات التي مروا بها خلال هذه المسيرة ولعل هذه الظاهرة الاجتماعية ترشدنا إلى أمور منها :

١ـ أنهم قد امتازوا بولائهم ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى المستوى الذي شاركوه فرحته بقتل ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبي نسائه لدرجة النشوة ، فيقول لما رآهم وهم على تلك الحال :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الرؤوس على شفا جيروني

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني[1]

هذه الفرحة الغامرة التي امتلكت يزيد بن معاوية لم تكن بخافية على أهل الشام بل شاركوه آنذاك الفرحة، ولذا؛ خرجوا يستقبلون سبايا آل محمد بالدفوف والبوقات وهم في فرح وسرور.

٢ـ أو أنهم تحت إعلام جائر ومنافق جعل من معاوية وبني أمية ــ أي هذا الإعلام المسموم ــ جعلهم أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة، فمنها:

١. عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً: كاد معاوية أن يبعث نبياً من حلمه وائتمانه على كلام ربي[2].

٢. عن عثمان بن عفان: هنيئاً يا معاوية، لقد أصبحت أميناً على خبر السماء[3].

٣. عن جابر مرفوعاً: الامناء عند الله سبعة، القلم، وجبرائيل وأنا، ومعاوية، واللوح، وإسرافيل، وميكائيل[4].

٤. عن أبي هريرة: الأمناء ثلاثة: أنا، وجبرائيل ومعاوية[5].

(١) مقتل أبي مخنف: ص٢٠٤. تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٩.

(٢) أوردها الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: ج٣، ص١٣٠. فأردفها بقوله: فهذه الأحاديث ظاهرة الوضع.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

٥ . عن ابن عمر مرفوعاً: يا معاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة[١].

ولذا: نجد أن تعامل آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا المجتمع في بعض المشاهد التاريخية كان يستند إلى الإرشاد وكشف تلك الضبابية التي صنعتها أبواق المرتزقة والساسة الذين تزلفوا لبني أمية فكانوا أدوات للخراب والدمار.

هذه الحالة الاجتماعية والعقائدية كشفها الحوار الذي دار بين الإمام زين العابدين عليه السلام وأحد أبناء الشام الذين قدموا للتشفي والسباب من هؤلاء السبايا وبطبيعة الحال فإن الشماتة لا يظهرها الإنسان من الناحية النفسية إلا بعد أن يجد غريمهُ على هيئة مفجعة وهو ما كان عليه حال نساء النبوة وموضع الرسالة؛ فكان هذا الحوار الذي جرى بين الإمام زين العابدين والرجل الشامي يدل على تحقق الأثر الإرشادي لخروج عيال الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

ولذلك:

لما دنا هذا الشيخ الشامي من الإمام زين العابدين عليه السلام قال للإمام: (الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم).

ههنا أفاض الإمام من لطفه على هذا المسكين المغتر بتلك التمويهات الضالة ساعياً لتقريبه من الحق وإرشاده إلى السبيل وهكذا أهل البيت عليهم السلام تشرق أنوارهم على من يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهداية.

---

(١) المصدر نفسه.

فقال عليه السلام له:

«**يا شيخ أقرأت القرآن؟**».

قال بلى: قال عليه السلام:

«**أقرأت** ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]؟

وقرأت ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2]؟».

قال الشيخ: نعم قرأت ذلك، فقال عليه السلام:

«**نحن والله القربى في هذه الآيات**».

ثم قال له الإمام:

«**أقرأت قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[3].

قال: بلى. فقال عليه السلام:

«**نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير**».

قال الشيخ: بالله عليك أنتم هم فقال عليه السلام:

«**وحق جدنا رسول الله إنا لنحن هم من غير شك**».

فوقع الشيخ على قدميه يقبلهما ويقول أبرأ إلى الله ممن قتلكم وتاب على يد الإمام مما فرط في القول معه وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر بقتله)[4].

---

(1) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(2) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(3) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(4) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٣٦٨؛ ينابيع المودة للقندوزي ج١، ص٣٥٨؛ تفسير الآلوسي: ج١٥، ص٦٢.

الأثر الخامس عشر: تصحيح مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة

إن هذا الأثر هو من أدوم الآثار وأقواها استمرارية، بل: يكاد يكون هذا الأثر هو الثمرة الأبرز في خروج بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كربلاء.

لكن قبل الخوض في بيان مصاديق هذا الأثر نتعرض أولاً إلى بيان مسألة صغيرة لغرض تحديد الوجه في السير في بيان هذه المصاديق، وهذه المسألة هي: التفاوت في رتب الإيمان، وذلك أن القرآن الكريم لم يجعل الأنبياء ولا المرسلين على درجة واحدة ومنزلة واحدة وإن كانوا جميعاً ممن اختارهم ا لله سبحانه للنبوة والرسالة، إذ يجعل القرآن التفاضل فيما بينهم ضمن الحقائق القرآنية فيقول سبحانه:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1].

وهذه السنة الكونية حينما جرت في الصفوة من الخلق والمنتجبين لحمل الشريعة كيف لا تكون في غيرهم من بني آدم؟! ولذا: لابد من التفريق بين منزلة الإسلام ومنزلة الإيمان كما نص عليها القرآن الكريم حيث قال سبحانه:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[2].

بمعنى ينحصر التفاوت في الرتب الإيمانية بين اللسان والقلب، فالمسلم من نطق الشهادتين دون أن يقر بها قلبه، والمؤمن من قرّ بها قلبه وإن لم يجهر بها أمام

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

الناس وتلك معضلة لدى الناس لاسيما أن الإنسان محكوم بما يصدر عنه من أقوال وأفعال وفي الأغلب الأعم لا يلتفت أكثر الناس إلا إلى ما يخرج من الأفواه لا إلى ما يصدر من الأفعال وتلك حقيقة يمكن مشاهدتها في كثير من الشواهد التأريخية والمواقف الحياتية.

ويكفي من ذلك شاهداً ما قام به معاوية من انتهاكات لحدود الله وهتك حرمته وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن هذا الفعل عند كثير من الناس لا يعني لهم شيئا، أو بالأحرى ينظر إلى قوله بالشهادتين بل: الأدهى من ذلك هو القيام بوضع المبررات له والتماس هذا فيما فعل من حربه لعلي بن أبي طالب عليه السلام وقتله الإمام الحسن عليه السلام بن بنت رسول الله وصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كحجر بن عدي ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وغيرهم.

إذن: هناك تفاوت في الرتب وهناك فرق واضح بين الإسلام والإيمان وهو ما يدعونا إلى بيان بعض المصاديق التي ظهرت في هذا الأثر، أي: تصحيح مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأت من بعض الصحابة ما كان كاشفاً عن هذا التفاوت بين الإسلام والإيمان حينما أقدم القوم على كشف بيت فاطمة عليها السلام[1] بضعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) قال أبو بكر عند وفاته: «فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب». أنظر في ذلك: تاريخ الطبري: ج٢، ص٦١٩؛ تاريخ ابن عساكر: ج٣٠، ص٤٢٠؛ كنز العمال للهندي: ج٥، ص٦٣٢.

فكان هذا الحدث هو أول انحراف عن مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تنص على أن حرب فاطمة وعلي وولديهما هي حرب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن سلمهم سلمه[١].

ثم تتابع هذا الانحراف عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليظهر بأبشع صورة على أرض كربلاء حينما ذبح المسلمون ابن بنت نبيهم وحملوا رأسه على رمح يطاف به في البلاد الإسلامية لينتهي به المطاف في طشت أمام (الحاكم الإسلامي) وهو يقرعه بالعصا والمسلمون ينظرون إليه وكأنهم يشاهدون ـ وبغض النظر عن الطبيعة الإنسانية الرافضة لهذا الأسلوب المتوحش ـ رأس ألد أعدائهم فلم يكفهم قتله بل لم يشفهم سحق جسده بسنابك الخيل وتقطيعه وإنما يفعل برأسه هذا الصنيع.

ومن ثم: أصبح المجتمع الإسلامي في أبعد ما يكون عن الإسلام.

وعليه: لزم أن يكون هناك تصحيح لهذا المسار وأن يصحو المسلمون من هذه الغفلة المطبقة على عقولهم وقلوبهم فكان ذلك من خلال وجود عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام التي وقفت تدق بكلماتها مع (الحاكم الإسلامي) طاغية بني أمية وفرعونهم الأكبر تلك الجدران التي أحاطت بعقول المسلمين فأصبحوا صماً بكماً فهم لا يعقلون إلى المستوى الذي جعلهم يعتقدون أن لا حرمة لرسول الله وأهل بيته وليس لهم منزلة عند الله تعالى.

---

(١) عن أبي هريرة قال: نظر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين وقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم». أنظر: مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٤٩؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٧، ص٥١٢؛ الصحيح لابن حبان: ج١٥، ص٤٣٥؛ المعجم الأوسط: ج٣، ص١٨٠.

فكيف يكون لهم المنزلة عند الله تعالى ورأس الحسين عليه السلام يحمل على الرمح ويطاف به البلاد وهو الأمر الذي جعل زيد بن أرقم يتعجب أشد التعجب مما يرى ويسمع من الرأس المقدس حينما طيف به في أزقة الكوفة، قائلاً:

(مر به علي وهو ـ الرأس الشريف ـ على رمح وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[1].

فقف ـ والله ـ شعري وناديت: رأسك والله ـ يا ابن رسول الله ـ أعجب وأعجب)[2].

والحادثة تكشف بوضوح عن آثار هذه المأساة في عقيدة المسلم بشكل خاص وفي عقيدة غير المسلم بشكل عام.

من هنا:

نجد أن عقيلة بني هاشم السيدة زينب عليها السلام قد أزاحت هذا الصدأ عن قلوب كثير من المسلمين حينما خاطبت ابن معاوية لعنه الله تعالى بقولها له:

«أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً؟! وبك عليه كرامة؟!.

وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١١٨.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١)»(٢).

إذن: أصبح تصحيح المسار للسنة المحمدية مرتكزاً على إرجاع الناس إلى الاعتقاد بحرمة محمد وأهل بيته وأن الذي جرى عليهم من محاصرتهم بتلك الجيوش وسوقهم كما تساق الأسارى ليس لكونهم هينين على الله تعالى وأن عدوهم الذي فعل بهم هذا الفعل لكرامته على الله وعظيم خطره عنده، فأصبح عدوهم شامخاً بأنفه فرحانا مسرورا بما صنع.

لكن: هذه الغفلة والحيلة انكشفت حينما أظهرت العقيلة زينب عليها السلام الأسباب الحقيقية التي أدت إلى حدوث مثل هذه المآسي في الإسلام، وذلك من خلال سنة الافتتان بالدنيا فهي تجر إليها من فتن بها فضلاً عن أن الملك الذي وصل إليه هؤلاء الظالمون هو في الأصل ملك رسول الله وأهل بيته بمعنى: أن الله تعالى جعل الملك والسلطان وسياسة العباد وإصلاح البلاد في الأنبياء ولكن هؤلاء الظالمين هم الذين اعتدوا على ملك غيرهم وانتهبوا سلطان الأنبياء وحكموا العباد بالجور وأشاعوا الفسق والفجور بين الناس، إلا أن كل هذا لا يدوم لهم، وأن بقاءهم فيما هم عليه ليس لكونهم صالحين ومرضيين عند الله تعالى فأضفى عليهم نعمة الإمهال فلم يعاجلهم بالعقوبة وذلك لأنه لن يفوته سبحانه عقابهم.

ولذلك: تقول عليها السلام مذكرة يزيد الذي هو في حقيقة الأمر أنموذج لكل الطواغيت في الأرض؛ لأن الصراع ليس بين الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

(٢) معالم المدرستين للعسكري: ج٣، ص١٤٥؛ تفسير الميزان للطباطبائي: ج٣، ص١٤٣.

ويزيد بن معاوية وإنما الصراع بين النور والظلام بين الخير والشر بين الصلاح والفساد، ومن ثم فإن سنة الإمهال التي سنها الله تعالى في حكمه لعباده مردها إلى أن الله تعالى حينما مكنهم من هذا الملك فأملى لهم بالقوة والمال وعبيد الدنيا إنما كان لهدف وغاية وهي كي يزدادوا إثماً ولهم عذاب عظيم.

وبهذا: يكون إعادة مسار السنة النبوية إلى وضعها الصحيح حينما يدرك المسلمون حقيقة هؤلاء الطواغيت في كل زمان وعصر فينبذونهم ويتبرأون منهم ولا يتمسكون إلا بمحمد وأهل بيته عليهم السلام.

وبهذا الأثر نكون قد وفقنا إلى بيان جانب من الحكمة في إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله من المدينة واصطحابهم معه إلى العراق على الرغم من كل تلك المقدمات التي كانت في حقيقة الحال هي نتائج تكشف بوضوح أدق التفاصيل لمأساة كربلاء في يوم العاشر من المحرم لأن ما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه قطعي الوقوع، وذلك أنه لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى.

ولذا: فإن قضية الحسين وقضية عاشوراء بشكل خاص إنما هي نواة الحركة الإصلاحية للأنبياء والمرسلين عليهم السلام التي يرتكز عليها قطب العدل والقسط وهو المهدي الموعود والحجة المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

فبه يتحقق الدين الواحد الذي يظهره الله تعالى على الديانات كلها فلا يبقى إنسان على الأرض لا يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

المصادر

١. إبصار العين في أنصار الحسين / محمد بن الشيخ طاهر السماوي / تحقيق: علي جهاد الحساني / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البلاغة. دار سلوني / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٢. الأحاديث الطوال / تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م / بيروت.

٣. الاحتجاج / أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي / تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري / الطبعة السادسة / نشر: دار الأسوة / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

٤. إحقاق الحق وإزهاق الباطل / تأليف: القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري / تحقيق: السيد شهاب الدين المرعشي / نشر: كتاب فروشي اسلامية / طهران.

٥. الأخبار الطوال / أحمد بن داود الدينوري / تحقيق: د. عصام محمد الحاج علي / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٦. أدب الحسين وحماسته / آية الله صابري همداني / الطبعة الثانية / نشر: دار النشر الإسلامي / سنة الطبع: ١٣٧٢ / قم المقدسة

٧. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / بيروت.

٨. الاستغاثة / تأليف: أبي القاسم الكوفي علي بن أحمد بن موسى بن الإمام الجواد عليه السلام / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٣٧٣هـ / طهران.

٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب / تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي / تحقيق: علي محمد البجاوي / الطبعة الأولى / سنة نشر: دار الجيل / سنة الطبع: ١٤١٢هـ / بيروت.

١٠. أسد الغابة في معرفة الصحابة / تأليف: عز الدين ابن الأثير ابي الحسن علي بن محمد الجزري / تحقيق: مجموعة من المحققين / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

١١. الإصابة في تمييز الصحابة / تأليف: ابن حجر العسقلاني / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت.

١٢. أصول الكافي / تاليف: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني / الطبعة الخامسة / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

١٣. الأعلام / تأليف: خير الدين الزركلي / الطبعة السادسة عشر / نشر: دار العلم للملايين / سنة الطبع: ٢٠٠٥م / بيروت.

١٤. إعلام الورى بأعلام الهدى / تاليف: الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / قم المقدسة.

١٥. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين / نشر: دار التعارف للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / بيروت.

١٦. إكسير العبادات في أسرار الشهادات / آغا بن عابد الشيرواني الحائري (الفاضل الدربندي) / تحقيق: محمد جمعة / الطبعة الأولى / نشر: شركة المصطفى / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / البحرين.

١٧. الأمالي / تأليف الشيخ الطوسي رحمه الله / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة / الطبعة الأولى / نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / قم المقدسة.

١٨. الأمالي / تأليف: الشيخ الصدوق / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / الطبعة الأولى / نشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / قم المقدسة.

١٩. الأمالي / تأليف: الشيخ المفيد / تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / بيروت.

٢٠. الإمامة والتبصرة من الحيرة / علي بن الحسين بن بابويه القمي / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / الطبعة الأولى / نشر: مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / سنة الطبع: ١٤٠٤هـ / قم المقدسة.

٢١. إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاحوال والأموال والمفدة والمتاع / تأليف: تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي / تحقيق: محمد عبد الحميد نميسي / الطبعة الأولى / نشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية / سنة النشر: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٢٢. الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام /

تأليف: السيد نبيل الحسني / الطبعة الأولى / نشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة / سنة الطبع: ١٤٣٠هـ / بيروت.

٢٣. أنساب الأشراف / البلاذري / تحقيق: محمود الفردوس العظم / نشر: دار اليقظة العربية / سنة الطبع: ١٩٩٧هـ / دمشق.

٢٤. أنصار الحسين عليه السلام / العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين / الطبعة الأولى / دار الكتاب الإسلامي / سنة الطبع: ٢٠٠٥م.

٢٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / تأليف: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي / الطبعة الثانية المصححة / نشر: مؤسسة الوفاء / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / بيروت.

٢٦. البداية والنهاية / تأليف: ابن كثير / تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ، ١٩٩٨م / بيروت.

٢٧. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ محمد بن الحسن بن فروخ الصفار / الطبعة الأولى / ترجمة السيد محمد السيد حسين المعلم / نشر: المكتبة الحيدرية / سنة الطبع: ١٤٢٦هـ / قم المقدسة.

٢٨. تاريخ الإسلام / تأليف: محمد بن أحمد الذهبي / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتاب العربي / سنة الطبع: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م / بيروت.

٢٩. تاريخ الطبري / تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / الطبعة الرابعة / نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / بيروت.

٣٠. تاريخ اليعقوبي / تأليف: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب واضح الكتاب العباسي / تحقيق: عبد الأمير مهنا / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / بيروت.

٣١. تاريخ بغداد / تأليف: تأليف: أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي / تحقيق ودراسة: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م / بيروت.

٣٢. تاريخ مدينة دمشق / تأليف: ابن عساكر / تحقيق: علي شيري / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت.

٣٣. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله / ابن سعد تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٥هـ / قم المقدسة.

٣٤. التمهيد / تأليف: ابن عبد البر/ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي / نشر: وزارة علوم الأوقاف والشؤون الإسلامية / سنة الطبع: ٢٠٠٨م.

٣٥. تهذيب التهذيب / تأليف: ابن حجر العسقلاني / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر / سنة الطبع: ١٣٢٥هـ / بيروت.

٣٦. تهذيب الكمال / تأليف: أبو الحجاج جمال الدين المزي / تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٣٧. جلاء العيون في سيرة رسول الله وابنته السيد الزهراء وأئمة أهل البيت عليهم السلام / الشيد عبد الله شبر/ الطبعة الأولى / نشر: دار المرتضى / سنة الطبع: ١٤٢٨هـ / بيروت.

٣٨. الجمل / تأليف: ضامن بن شدقم المدني / تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي / نشر: المحقق / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٩. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام / أبو البركات محمد بن أحمد

الدمشقي الباعوني / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة الأولى / سنة الطبع: ١٤١٦هـ / نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم المقدسة.

٤٠. الجوهرة في نسب الامام عليه وآله / تأليف: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المعروف بالبري / تحقيق: دكتور محمد التونجي / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة أنصاريان / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

٤١. الخرائج والجرائح / تأليف: قطب الدين الراوندي / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة النور / سنة الطبع: ١٤١١هـ / بيروت.

٤٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / تأليف: عبد القادر بن عمر للبغدادي / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / الطبعة الأولى / نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب / سنة الطبع: ١٣٩٧هـ / القاهرة.

٤٣. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة / صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني صاحب (سلافة العصر) و(أنوار الربيع) / تحقيق وتقديم: العلامة الكبير السيد محمد صادق حر العلوم / الطبعة الأولى / نشر: منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها / سنة الطبع: ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م / النجف الأشرف.

٤٤. دلائل الإمامة / تأليف: محمد بن جرير الطبري (الشيعي) / الطبعة الثانية / نشر: المطبعة الحيدرية / سنة الطبع: ١٣٨٣هـ / النجف الأشرف.

٤٥. الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة / المولى محمد باقر عبد الكريم البهبهاني / الطبعة الأولى / نشر مؤسسة الأعلمي ، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / بيروت.

٤٦. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / تأليف: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري / نشر: دار المعرفة / بيروت.

٤٧. رسائل الشريف المرتضى / الشريف المرتضى / الطبعة الأولى / نشر: دار القرآن الكريم / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ / قم المقدسة.

٤٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي / تحقيق: محمد حسين العرب / نشر: دار الفكر / بيروت.

٤٩. الروض الأنف ومعه السيرة النبوية لابن هشام / أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي / تحقيق: عبد الله المنشاوي / الطبعة الأولى / نشر: دار الحديث / سنة الطبع: ١٤٢٩هـ / القاهرة.

٥٠. سنن أبي داوود / تأليف: ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني / تحقيق وتعليق: سعد محمد اللحام / الطبعة الأولى / نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م / بيروت.

٥١. سير أعلام النبلاء / تأليف: شمس الدين الذهبي / الطبعة الأولى / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٥٢. سيرة ابن إسحاق / تأليف: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي / تحقيق: د. سهيل زكار / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: ١٣٩٨هـ / نشر: دار الفكر.

٥٣. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي / تحقيق واهتمام: السيد محمود المرعشي / الطبعة الأولى / نشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / قم المقدسة.

٥٤. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار / أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي / تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين / سنة الطبع: ١٤٠٩هـ / قم المقدسة.

٥٥. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام / السيد حسن القبانجي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٥٦. شرح نهج البلاغة / تأليف: ابن أبي الحديد المعتزلي / تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء الكتب العربية / سنة الطبع: ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م / بغداد.

٥٧. صحيح البخاري / تأليف: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن البخاري / الطبعة الرابعة / نشر: عالم الكتب / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ / بيروت.

٥٨. الطبقات الكبرى / تأليف: محمد بن سعد / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر . دار بيروت / سنة الطبع: ١٣٧٦هـ / بيروت.

٥٩. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه) تحقيق: مهدي الرجائي / الطبعة الأولى / نشر: مكتبة المرعشي النجفي / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

٦٠. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري / تأليف: بدر الدين العيني / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٦١. العوالم الغيبية في القرآن الكريم / الشيخ جعفر السبحاني / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / سنة الطبع: ١٤٢٨هـ / قم المقدسة.

٦٢. الغارات / تأليف: إبراهيم بن محمد الثقفي / تحقيق: عبد الزهرة الحسينية / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: ١٤٠٧هـ / بيروت.

٦٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب / تأليف: الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البديل . دار المتقين / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / بيروت.

٦٤. فتح الباري / تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز / نشر: دار المعرفة / سنة الطبع: ١٣٧٩هـ / بيروت.

٦٥. الفروق اللغوية / الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري / تحقيق: محمد باسل عيون السود / الطبعة الرابعة : نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٧هـ / بيروت.

٦٦. الفصول المختارة / تأليف: الشريف المرتضى / تحقيق: السيد نور الدين جعفريان الاصبهاني / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / بيروت.

٦٧. قاموس الرجال / تأليف: الشيخ محمد تقي التستري / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين / سنة الطبع: ١٤١٩هـ / قم المقدسة.

٦٨. القاموس المحيط / الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النوري / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / دمشق.

٦٩. قرب الاسناد / تأليف: الحميري القمي / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / قم المقدسة.

٧٠. كامل الزيارات / الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد القمي / تحقيق: الشيخ جواد القيومي الأصفهاني / الطبعة الثالثة / نشر: دار الفقاهة / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / قم المقدسة.

٧١. الكامل في التاريخ / تأليف: ابن الأثير / نشر: دار صادر / سنة الطبع: ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م / بيروت.

٧٢. كتاب الأربعين / تأليف: محمد طاهر القمي / تحقي: السيد مهدي الرجائي / الطبعة الأولى / سنة الطبع: ١٤١٨هـ.

٧٣. كتاب العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي / تحقيق: د. مهدي المخزومي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / بيروت.

٧٤. كتاب الفتوح / أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي / تحقيق: علي شيري / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: ١٤١١هـ / بيروت.

٧٥. كتاب بلاغات النساء أبو الفضل أحمد بن ابي طاهر طيفور / تحقيق: بركات يوسف هبود / الطبعة الأولى / نشر: المكتبة العصرية / سنة الطبع: ١٤٢٦هـ / صيدا.

٧٦. كتاب سليم بن قيس الهلالي / سليم بن قيس الهلالي / تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني / الطبعة الثالثة / نشر: دار دليل ما / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / قم المقدسة.

٧٧. كشف الغمة في معرفة الأئمة / تأليف: علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٧٨. لسان العرب / تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري المصري / تحقيق: عامر أحمد حيدر / الطبعة الاولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٧٩. لسان العرب / جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري / تحقيق: عامر أحمد حيدر / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٨٠. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد رضي الدين أبي القاسم بن طاووس / الطبعة الثانية / نشر: أنوار الهدى / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / قم المقدسة.

٨١. لوائح الأنوار في طبقات الأخيار / عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني الأنصاري الشافي الشاذلي المصري / نشر: مطبعة المنار / سنة الطبع: ١٣٢٣هـ.

٨٢. لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام / السيد محسن الأمين العاملي / تحقيق: السيد حسن الأمين / الطبعة الأولى / نشر: دار الأمير/ سنة الطبع: ١٤١٧هـ / بيروت.

٨٣. مثيرالأحزان / تأليف: نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحلي / الطبعة الأولى / نشر: دار العلوم / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٨٤. المجدي في أنساب الطالبيين / علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري / تحقيق: أحمد المهدوي الدامغاني / الطبعة الثانية / نشر: مكتبة المرعشي النجفي / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / قم المقدسة.

٨٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تأليف: الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي / تحقيق عبد الله محمد الدرويش / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٨٦. المحبر/ تأليف: محمد بن حبيب البغدادي / طبع: مطبعة الدائرة / سنة الطبع: ذي القعدة١٣٦١هـ.

٨٧. المحتضر في تحقيق معاينة المحتضر للنبي والأئمة عليهم السلام / أبو محمد الحسن بن سليمان الحلي العاملي / تحقيق: مشتاق صالح المظفر / الطبعة الأولى / نشر: مكتبة العلامة المجلسي / سنة الطبع: ١٤٣٠هـ / قم المقدسة.

٨٨. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / تحقيق: نجوى أنيس ضو / الطبعة الرابعة / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٦هـ / بيروت.

٨٩. مروج الذهب ومعدن الجوهر / أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي / تحقيق: أمير مهنا / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٩٠. مستدرك سفينة البحار / علي نمازي الشاهرودي / الطبعة الأولى / نشر: قسم الدراسات الإسلامية / سنة الطبع: ١٤٠٩هـ / طهران.

٩١. المستدرك على الصحيحين / تأليف: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٩٢. مستدركات علم رجال الحديث / الشيخ علي النمازي الشاهرودي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النشر الإسلامي / سنة الطبع: ١٤٢٦هـ / قم المقدسة.

٩٣. مسند احمد / تأليف: احمد بن محمد بن حنبل / تحقيق: احمد محمد شاكر / نشر: مكتبة التراث الإسلامي / القاهرة.

٩٤. مسند الإمام الرضا عليه السلام / الشيخ عزيز الله العطاردي / الطبعة الثانية / نشر: دار الصفوة / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / بيروت.

٩٥. المعارف / تأليف: ابن قتيبة الدينوري / تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي / الطبعة الأولى / نشر: المطبعة الإسلامية / سنة الطبع: ١٩٣٤م / القاهرة.

٩٦. معالم المدرستين / السيد مرتضى العسكري / الطبعة الثالثة / نشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ / بيروت.

٩٧. معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين / الشيخ محمد مهدي الحائري / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البلاغ / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٩٨. المعجم الأوسط / أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد / نشر: دار الحرمين / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / القاهرة.

٩٩. معجم رجال الحديث / تأليف: السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي / الطبعة الخامسة / سنة الطبع: ١٤١٣هـ.

١٠٠. مقاتل الطالبيين / أبي الفرج الأصفهاني / نشر: دار التربية / بغداد.

١٠١. مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام / أبومخنف لوط بن يحيى بن سعيد العامري الأزدي الكوفي/ تحقيق: كامل سلمان الجبوري / الطبعة الأولى / نشر: دار المحجة البيضاء / سنة الطبع: ١٤٠٢هـ / بيروت.

١٠٢. مقتل الإمام الحسين عليه السلام / أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم / تحقيق: الشيخ محمد السماوي.

١٠٣. مقتل الإمام الحسين عليه السلام / السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النور / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

١٠٤. من تراث الأنساب . تاريخ الحروب العربية بين بكر وتغلب / تأليف: سلمان الصفواني / تحقيق: د. محمد زينهم/ الطبعة الأولى / نشر: مكتبة مدبولي / سنة الطبع: ١٩٩٨هـ / القاهرة.

١٠٥. مناقب آل أبي طالب / تأليف: ابن شهر آشوب / تحقيق: د. يوسف البقاعي / الطبعة الأولى / نشر: مركز الأبحاث العقائدية / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / قم المقدسة.

١٠٦. المنتخب من ذيل المذيل / الطبري / نشر: مؤسسة الأعلمي / بيروت.

١٠٧. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام / معهد تحقيقات باقر العلوم / نشر: دار المعروف / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / قم المقدسة.

١٠٨. الميزان في تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائي / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / بيروت.

١٠٩. ناسخ التواريخ .حياة الإمام سيد الشهداء الحسين عليه السلام / ميرزا محمد تقي سبهر (لسان الملك) / تحقيق وترجمة: سيد علي جمال أشرف / الطبعة الأولى / نشر: مدين / سنة الطبع: ١٤٢٧هـ / قم المقدسة.

١١٠. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم / الشيخ عباس القمي / الطبعة الأولى / نشر: انتشارات ذوي القربى / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / قم المقدسة.

١١١. النهاية في غريب الحديث / تأليف: ابن الأثير/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي / الطبعة الرابعة / نشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٩٦٥م / قم المقدسة.

١١٢. نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام / محمد حسين الاصطهباناتي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة مولود الكعبة / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

١١٣. الوافي بالوفيات / تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي / تحقيق: أحمد الارناؤوط / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

١١٤. وسائل الشيعة / تأليف: الحر العاملي / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الثانية / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / قم المقدسة.

١١٥. ينابيع المودة لذوي القربى / تأليف: الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي / تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني / الطبعة الأولى / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤١٦هـ / بيروت.

المحتويات

الإهداء ٥

مقدمة الكتاب ٧

المبحث الأول

هل كانت العرب تحمل النساء والأطفال إلى الحرب قبل الإسلام؟

المسألة الأولى: أول من أشار بقتال النساء في الحرب والهدف في وجودها؟ ٢٠

المسألة الثانية: إخراج المشركين للنساء في حروبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٢٣

أولاً: إخراج النساء إلى معركة أحد ٢٣

ثانيا: إخراج المشركين نساءهم وأولادهم في غزوة حنين ٢٧

المسألة الثالثة: هل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج عياله إلى الحرب أو أجاز ذلك لأصحابه ٣٣

المسألة الرابعة: إخراج النساء في قتال الإمام علي (عليه السلام) للناكثين والقاسطين والمارقين ٤١

أولا: دور المرأة في معركة الجمل ٤٢

ثانيا: دور المرأة في معركة صفين وقتال علي عليه السلام القاسطين ٤٩

١ ـ سودة بنت عمارة (رحمها الله تعالى) ٥٠

٢ ـ الزرقاء بنت عدي رحمها الله تعالى ٥٢

٣ ـ بكارة الهلالية ٥٥

المبحث الثاني

معنى السبي وتاريخه

المسألة الأولى: معنى السبي لغة ٦٥

المسألة الثانية: الجذور التاريخية لسبي المرأة ٦٦

أولاً: أول من سبى السبايا من العرب ٦٦

ثانيا: سبي المرأة في الأمم السابقة ٦٧

المسألة الثالثة: كيف كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السبايا؟ ٦٩

أولاً: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع جويرية بنت الحارث ٧٠

ثانيا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمة عدي بن حاتم لما سباها المسلمون ٧٢

ثالثا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا اليهود ٧٥

المسألة الرابعة: أبو بكر أول من سن سبي المرأة المسلمة ٧٧

المبحث الثالث

معنى المشيئة الإلهية، وهل هذه المشيئة تعطل العقاب الإلهي؟

المسألة الأولى: معنى المشيئة الإلهية ٨٥

أولاً: المشيئة لغة ٨٥

ثانيا: المشيئة في القرآن ٨٦

ثالثا: المشيئة في السنة ٩٣

المسألة الثانية: المشيئة التشريعية والمشيئة التكوينية ٩٦

المبحث الرابع

من هم عيال الإمام الحسين عليه السلام؟ وما هو عددهم؟

المسألة الأولى: كم أخرج الإمام الحسين من أخواته إلى كربلاء؟ ١٠٨

أولاً: عدد أخواته من أبيه اللاتي خرجن معه عليه السلام ١٠٨

١ ـ السيدة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ١٠٨

٢ ـ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام ١١٠

٣ ـ السيدة رقية بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ١١٤

٤ ـ خديجة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ١١٤

٥ ـ رقية الصغرى بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام ١١٥

٦ ـ أم هانئ بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ١١٥

٧ ـ أم الحسن بنت علي بن أبي طالب عليه السلام ١١٥

٨ ـ رملة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام........................... ١١٦
٩ ـ زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب عليه السلام........................ ١١٨
ثانيا: عدد شقيقاته اللاتي خرجن معه إلى كربلاء.............................. ١١٩
ثالثا: العلة في اختصاص العقيلة زينب عليها السلام بهذه المصائب دون غيرها من بنات علي أمير المؤمنين عليه السلام ١٢٠
المسألة الثانية: أزواج الإمام الحسين عليه السلام وبناته اللاتي خرجْنَ معه إلى العراق ١٢٣
أولا: عدد أزواجه عليه السلام، ومن خرجت منهنّ معه عليه السلام............. ١٢٣
١ ـ ليلى بنت أبي مرة.. ١٢٣
٢ ـ الرباب بنت امرئ القيس بن عدي من أهل الشام............................ ١٢٧
٣ ـ أم إسحاق بنت طلحة ١٣٠
ثانيا: عدد بناته اللاتي أخرجهن إلى العراق ١٣٣
١ ـ السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام ١٣٣
٢ ـ فاطمة الكبرى بنت الحسين عليه السلام..................................... ١٣٤
٣ ـ فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام ١٣٥
٤ ـ رقية بنت الحسين عليه السلام ١٣٩
٥ ـ عاتكة بنت الحسين عليه السلام ١٤٠
المسألة الثالثة: نساء الأنصار... ١٤٠
١ ـ أم وهب ١٤١
٢ ـ أم عمرو بن جنادة الأنصاري ١٤٢
٣ ـ أم عبد الله بن عمير الكلبي ١٤٣

المبحث الخامس

علّة إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله وآثار ذلك في الأمة

المسألة الأولى: سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم صور ومشاهد ١٤٧

أولاً: سلب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بعد قتله........................١٤٨

ثانيا: سلب بنات النبوة وسبيهن........................١٤٩

ثالثا: أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام تصف سبي الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم........................١٥١

رابعاً: فاطمة بنت الحسين عليه السلام تصف سبي الأعداء لبنات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ١٥١

خامساً: العقيلة زينب عليها السلام تصف سبي الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٥٢

سادساً: الإمام زين العابدين عليه السلام يصف سبي الأعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم......١٥٢

سابعاً: كيف كانت حاله عليه السلام حينما أدخلوه وسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يزيد ١٥٢

المسألة الثانية: آثار إخراج النساء إلى كربلاء في الإسلام والمسلمين ١٥٤

الأثر الأول: اصطفاء الذرية للدفاع عن الشريعة، وشاهده القرآني ١٥٥

الأثر الثاني: هواية القلوب للذرية، وشاهده القرآني........................١٥٦

الأثر الثالث: إن الحسين وعياله خير أمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وشاهده القرآني........................١٥٩

الأثر الرابع: الأثر التصديقي؛ وشاهده القرآني ١٦١

الأثر الخامس: الأثر العسكري........................١٦٣

ألف: إظهار حمية الأنصار لدرجة الاستئناس بالموت........................١٦٤

باء: حث الرجال على القتال ومشاركتهم الجهاد ١٦٦

الأثر السادس: إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم ١٦٦
الأثر السابع: تجلي مصداق التوحيد في حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع ١٧١
١ـ تلازم مفهوم الجمال والتوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام ١٧٦
٢ـ صنع الله تعالى هو المحور في الفكر التوحيدي في معركة الإصلاح عند العقيلة زينب عليها السلام ١٧٨
٣ـ الفاعل غير الفعل في الفكر التوحيدي عند العقيلة زينب عليها السلام ١٧٩
٤ـ نواة التوحيد هو الإيمان بالغيب ١٨٠
٥ـ قوام التوحيد في العدل الإلهي ١٨٢
الأثر الثامن: الأثر التوثيقي ١٨٤
الأثر التاسع: الأثر الفقهي ١٨٧
الأثر العاشر: حفظ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانقطاع ١٨٨
الأثر الحادي عشر: الأثر الوجداني ١٩٧
الأثر الثاني عشر: ترسيخ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاكها وتثبيتها في نفوس المسلمين.. ١٩٩
أولاً: دخولهن بالحالة المفجعة إلى الكوفة عمل على تصديع سنة التجري ٢٠٣
ثانيا: إن هتك حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسده شيء. ٢٠٦
ثالثا: التلازم بين حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أبنائه وذريته ٢٠٧
الأثر الثالث عشر: الدفاع عن حق علي عليه السلام في الوصاية والخلافة التي اغتصبت ٢٠٨
الأثر الرابع عشر: الأثر الإرشادي ٢١٠
الأثر الخامس عشر: تصحيح مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمة ٢١٨
المصادر.. ٢٢٥
المحتويات.. ٢٣٩

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي

٢١ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ٣ ج	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو

٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابك فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية – مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام بين تصريح النبي وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	الدكتور محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	الشيخ حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية – تحقيق شعبة التحقيق	السيد عبدالوهاب الأستراَبادي
٧١	صلاة الجمعة - تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي